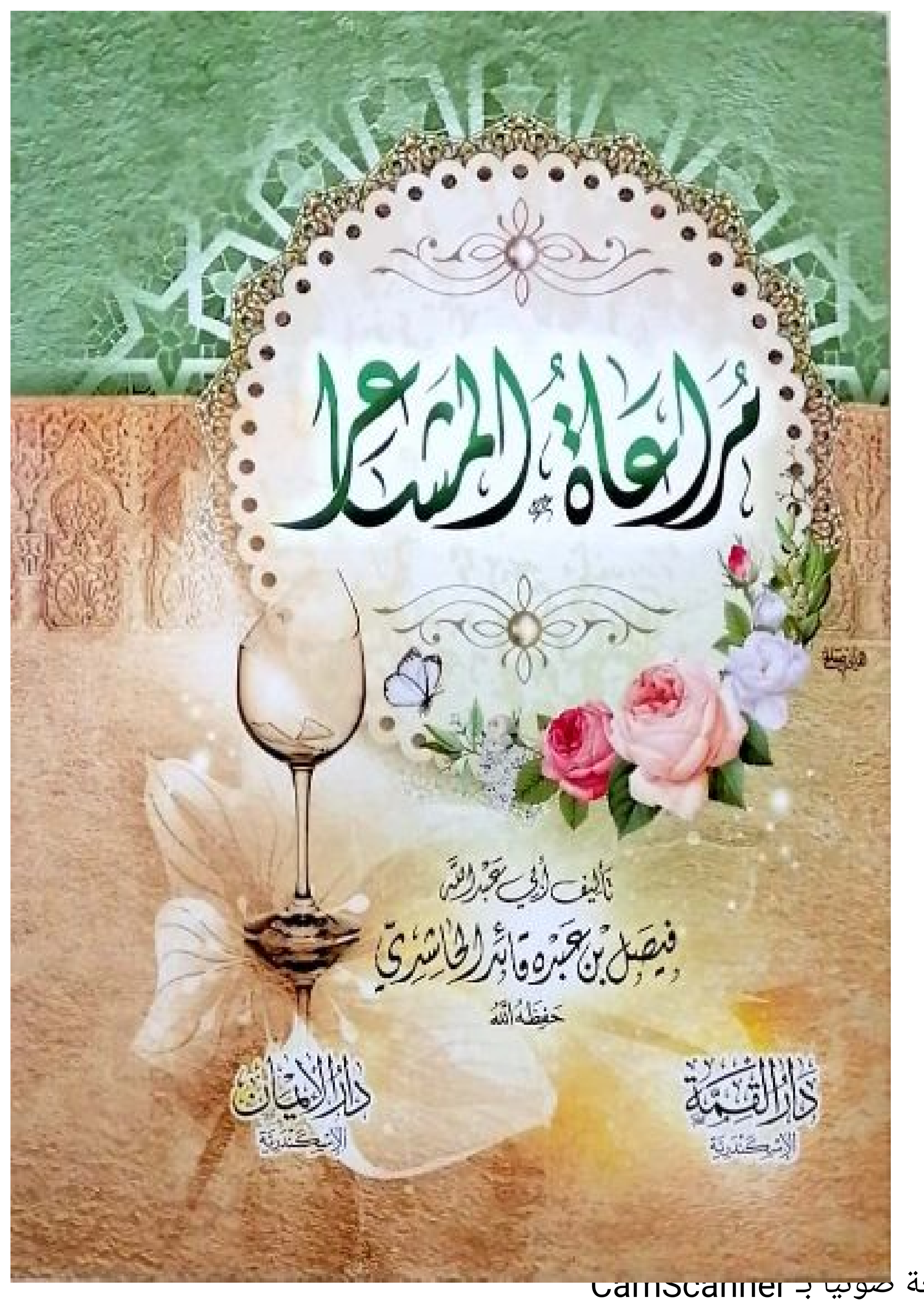

مراعاة المشاعر
تأليف أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي
حفظه الله
دار القمة
الإسكندرية
دار الإيمان
الإسكندرية



تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه







اسم الكتاب: مراعاة المشاعر

تأليف فضيلة الشيخ: فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٩٨٨٩ /٢٠٢١.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ١٣٦.

القياس: ٢٤X١٧.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ عادل السلماني.

٢٠٢١



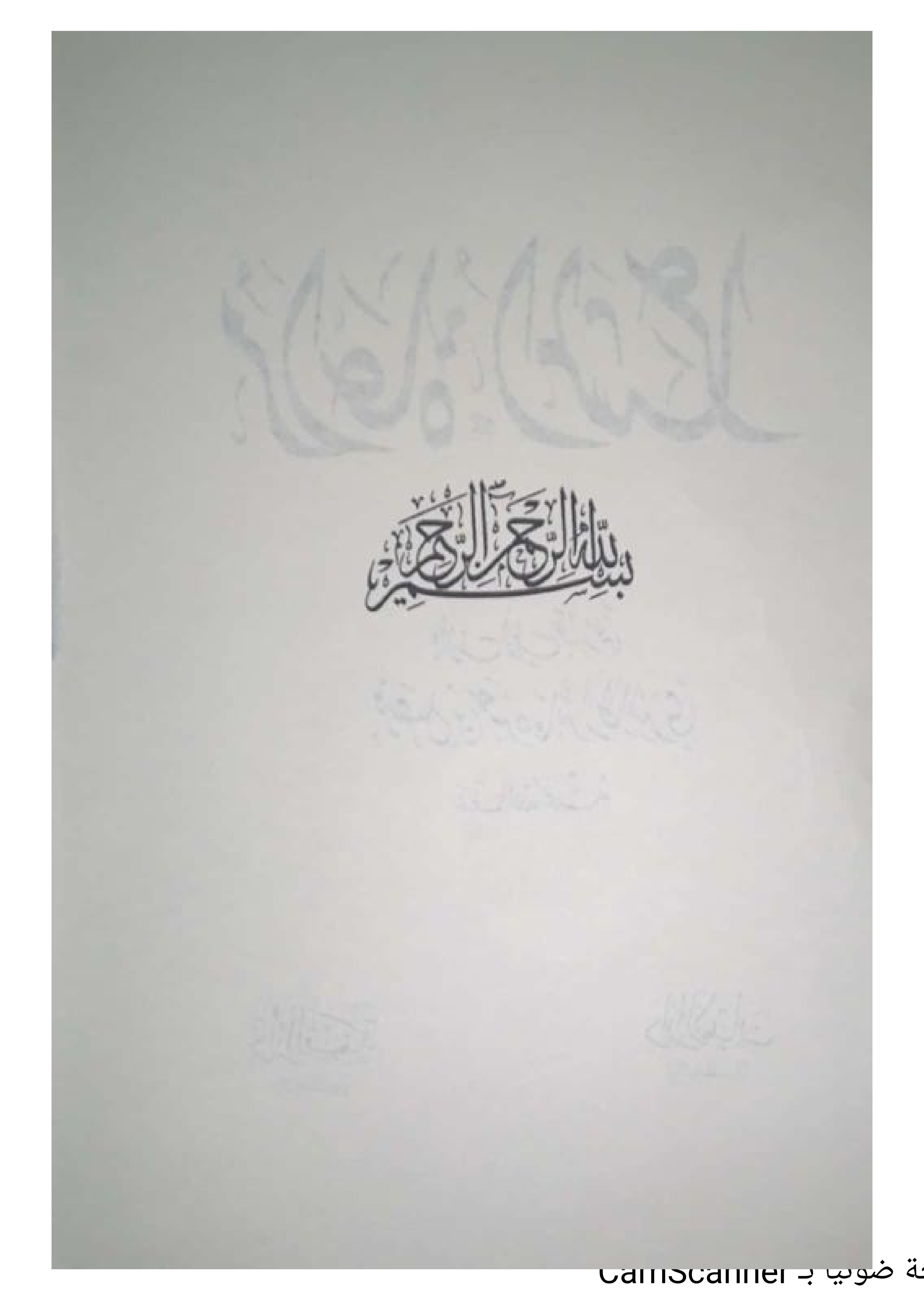
فرعنا في الجمهورية اليمنية

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تصديرٌ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المرسَلينَ وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعينَ.

أما بعدُ:

مـا أرانِ علـى البيـانِ بقـادِرْ ... بينَ أهْلِ النُّهى وأهْلِ المشاعِرْ[1]

فَبَيْنَ يديْكَ أخي الكريمَ كتابي الموسومُ «مراعاةُ المشاعِرِ» وُلِدَ من رَحِمِ التقصيرِ الكبيرِ في هذا الحَقِّ؛ فإنْ تحقَّقَ المرادُ فهو من توفيقِ اللهِ وهدايتِهِ وإعانَتِهِ وتسديدِهِ، وإنْ كانَ غيرَ ذلك فما علىٰ عَرَجٍ من حَرَجٍ.

وأسألُ اللهَ بأسمائِهِ الحُسنَىٰ وصفاتِهِ العُلَىٰ أنْ يَتَقَبَّلَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ويُنْبِتَهُ نباتًا حَسَنًا ويجعلَهُ مُباركًا نافعًا خالِصًا لوجْهِهِ الكريمِ وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

وكتبهُ

أبو عبد الله

فيصلُ الحاشديُّ

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٦٣/ ٣٠٧).

تعريفُ مراعاةِ المشاعرِ

خُذْ ما عرفتَ ودعْ ما أنتَ جاهلُهُ   للأمرِ وَجْهانِ: مَعْرُوفٌ ومَجْهُولُ[١]

مراعاةُ: أي الاحترامُ الممزوجُ بالاعْتبارِ[٢].

والمشاعِرُ: هي عَواطِفُ الإنسانِ وإحسَاسَاتُهُ[٣].

قال أستاذُنا عبد الكريم بن محمد العماد - حفظه الله -:

جَهِلْتَ مراعاةَ المشاعِرِ بينَنا   ففي الناسِ مَنْ يَدْري ومنهُم مُكابِرُ
عواطِفُنا إحساسُنا وشُعُورُنا   سواءٌ، إذا ماتت لديك المشاعِرُ!!

---

(١) «ديوانُ أبي العتاهية» (١٤٨).

(٢) «المعاني الجامعُ» تعريفُ ومعنىً مراعاةِ.

(٣) «المعاني الجامعُ» تعريفُ وَمَعنىً مَشَاعِر.

مراعاةُ المشاعِرِ في الكتابِ والسُّنَّةِ

أتانـا رسـولُ اللهِ يتلـو كتابَـهُ كمـا لاحَ مشهودٌ من الصُّبحِ ساطِعُ

أولًا: مراعاةُ المشاعِرِ في الكتابِ:

كتابُ اللهِ ﷻ معينٌ لا يَنضَبُ بالحديثِ عن مراعاةِ المشاعِرِ والحديثُ عن ذلك ذو شُجُونٍ وسوف نذكُرُ طَرَفًا من ذلك.

قال اللهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩-١٠].

فاللهُ ﷻ يأمُرُ نبيَّهُ ﷺ بمراعاةِ مشاعِرِ اليتيمِ بعَدَمِ قهرِهِ بإذلالِهِ وأخذِ مالِهِ وعَدَمِ نَهرِ السائِلِ بزَجْرِهِ واحتقارِهِ.

ويأمُرُ ﷻ بمراعاةِ مشاعِرِ المطلَّقةِ بإعطائِها مالًا مراعاةً لمشاعِرِها وجَبرًا لِخاطِرِها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾ [الأحزاب: ٤٩].

بل إنَّه ﷻ جعل ذلك واجبًا: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [البقرة: ٢٤١]. فأكَّد المتعةَ بقولِهِ: ﴿حَقًّا﴾ والحَقُّ: الواجبُ وبقولِهِ: ﴿عَلَى﴾ وعلى تدُلُّ على الوجوبِ وبقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ وتقوى اللهِ واجبةٌ[1].

---

(١) انظُرْ: شَرْحَ السُّنَّةِ (٩/ ١٣٠) والإنصافَ (٨/ ٣٠٢)، وتَفْسِيرَ ابنِ جَرِيرٍ (٢/ ٣٣١)، والمحلى (١٠/ ٢٤٥)، ومَجْمُوعَ الْفَتَاوَىٰ (٣٢/ ٢٧) وتَفْسِيرَ ابنِ كَثِيرٍ (١/ ٢٩٧)، والشَّرْحَ الْمُمْتِعَ (١٠/ ٣٢٧).

ويُحذِّرُ ﷺ من تعنيفِ السائِلِ وتغليظِ القولِ لَهُ عندما يُظَنُّ كَذِبُهُ؛ فَصِدْقُ السائِلِ وكَذِبُهُ علمُهُ عند اللهِ ﷻ فيُعْطَىٰ أو يُمْنَعُ من غيرِ إذلالٍ أو إهانةٍ بل يَمْنَعُ إذلالَهُ حتىٰ مع العطاءِ.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

مراعاةُ المشاعرِ في السُّنَّةِ

أتى ذلكَ القرآنُ يا صاحِ مُجمَلًا وفسَّرَهُ خيرُ البريَّةِ أحمدُ[١]

السنةُ حافلةٌ بالمواقِفِ العظيمةِ التي تَدُلُّ على مراعاةِ المشاعِرِ، فها هو ﷺ يُراعي مشاعِرَ السائِلِ بأحْسَنِ الألفاظِ وأجملِها مراعاةً لمشاعِرِهِ وجَبْرًا لخاطِرِهِ.

فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«يدخُلُ الجنَّةَ سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ... فخرجَ فقال: هُمُ الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يَتَطَيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلون.** فقال عكاشةُ بنُ محصنٍ: أمِنْهم أنا يا رسولَ اللهِ؟ **قال: نعم.** فقامَ آخَرُ فقال: أمِنهم أنا؟ **قال: سَبَقَكَ بها عكاشَةُ»**[٢].

فتأمَّلْ كيفَ ردَّ النبيُّ ﷺ السائِلَ لَقَدْ رَدَّهُ بِلَفْظٍ طيِّبٍ يراعي مشاعِرَهُ ويَجْبُرُ خاطِرَهُ فلَمْ يقُلْ لَهُ: لا أنت لسْتَ منهم بل قال: سبقَكَ بها عكاشةُ، أليس هذا دليلًا على مراعاةِ مشاعِرِ الناسِ وجَبْرِ خاطِرِهم؟

وها هو النبيُّ ﷺ يراعِي حالَ من صَدَرَ منه الخَطأُ فيُعَلِّمُ الجاهِلَ والصغيرَ برفْقٍ ولِينٍ يراعي مشاعِرَهُ ويصحِّحُ خطأَهُ.

فعن معاويةَ بن الحكم السُّلَميِّ قَالَ: «بَيْنَا أنا أُصَلِّي مع رسولِ اللهِ ﷺ إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ. فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فرماني القومُ بأبْصارِهِمْ. فَقُلْتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاه ما شأنُكُمْ تَنظُرُونَ إِلَيَّ فجَعَلُوا يضربون بأيديهِمْ على أفخاذِهِمْ فلمَّا رأيْتُهُم يُصَمِّتُونَني

---

(١) أخبارٌ وتراجِمُ أندلسيةٌ (٨٩).

(٢) رواهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٠).

لكنِّي سَكَتُّ، فلمَّا صلَّى رسُولُ اللهِ ﷺ فبأبي هُوَ وَأُمِّي ما رأيتُ مُعلِّمًا قبْلَهُ ولا بَعْدَهُ أحْسَنَ تعليمًا مِنْهُ فواللهِ ما كَهَرَنِي - أي زَجَرَنِي وأغلظ لي القولَ - ولا ضَرَبَنِي ولا شَتَمَنِي قَالَ: إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ إنما هو التسبيحُ والتَّكْبِيرُ وقراءةُ القُرْآنِ»[١].

ويُهْدَى إليهِ ﷺ هديةٌ فَيَرُدُّها ويذكُرُ سببَ عَدَمِ قبولِهِ للهديَّةِ مراعاةً لمشاعِرِ المُهْدِي وجَبْرًا لخاطِرِه.

فعن الصَّعْبِ بنِ جثامةَ الليثيِّ أنَّه أهْدَىٰ لرسولِ اللهِ ﷺ حِمارَ وَحْشٍ وَهُوَ بالأَبْواءِ أو بِوَدَّانَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَرَدَّهُ.

قَالَ صَعْبٌ: فلمَّا عرَفَ في وَجْهِي رَدَّهُ هَدِيتِي قَالَ: لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُرُمٌ»[٢].

فالصَّيْدُ محرمٌ على المُحْرِمِ إذا صادَهُ أو صِيدَ لَهُ فَلَمْ يَقْبلِ النبيُّ ﷺ هديَّةَ الصَّعْبِ ويَعْصِي ربَّهُ - وحاشاهُ - طلبًا لرضا المخلوقِ وكان مِن حُسْنِ الخُلُقِ بأَنْ بَيَّنَ له السَّبَبَ حينما رأىٰ ما في وجْهِهِ من ردِّ هديَّتِهِ فهديُ النبي ﷺ في هذا أكملُ هَدْيٍ فلم يُخِلَّ بحقوقِ الخالِقِ ولا بحقوقِ المخلوقين فصلىٰ اللهُ عليه وسلم.

---

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ (٥٣٧).

(٢) رواهُ البُخارِيُّ (٢٥٦٦)، ومُسْلِمٌ (١١٩٣).

صورٌ من مراعاةِ المشاعرِ

١- اتباعُ السُّنَّةِ في السَّلامِ:

أقرَ السلامَ عليكَ مَني كُلَّما جرتِ الرياحُ فأنشقتكَ نسيما[١]

من مراعاةِ المشاعرِ اتباعُ السُّنَّةِ عند إلقاءِ السَّلامِ أو ردهِ، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«يُسَلِّمُ الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعِدِ، والقليلُ على الكثيرِ»**[٢] وفي روايةٍ للبخاريِّ: **«يُسَلِّمُ الصغيرُ على الكبيرِ، والمارُّ على القاعِدِ والقليلُ على الكثيرِ»**[٣].

وقد ذكرَ بعضُ العلماءِ الحكمةَ من ابْتداءِ هؤلاءِ المذكورين بالسَّلامِ، فقالوا: سلامُ الصغيرِ على الكبيرِ؛ لِحَقِّ الكبيرِ من التوقيرِ والتكريم وهو الأدبُ الذي ينبغي سلوكُهُ، وسلامُ الراكبِ على الماشِي؛ حتى يَحمِلَ السَّلامُ الراكبَ على التواضُعِ وعدمِ التكبرِ، وسلامُ الماشي على القاعِدِ: لِشَبَهِهِ بالداخِلِ على أهلِ المنزِلِ، وسلامُ القليلِ على الكثيرِ؛ لِحَقِّ الكثيرِ فَحَقُّهم أعظمُ»[٤].

والذي يظهرُ أنَّ ذلكَ للاستحبابِ فلو سَلَّمَ الكثيرُ على القليلِ أو عَكْسُهُ لَصَحَّ وحَصَلَ المقصودُ لكنَّ ذلكَ خِلافُ الأَوْلَى.

ومتى كانوا في السِّنِّ سواءً واستَوَوْا من جميعِ الجهاتِ فخيرُهما الذي يَبْدأُ

---

(١) ديوانُ أبي تَمّام (٢٢٦).

(٢) «رواهُ البُخاريُّ» (٦٢٣٢)، وَ«مُسلِمٌ» (٢١٦٠).

(٣) «رواهُ البُخارِيُّ» (٦٢٣١).

(٤) «فتحُ البَارِي» (١١/ ١٩).



بالسَّلامِ لقولِهِ ﷺ: «وخيرُهما الذي يبدأُ بالسَّلامِ» من حديثِ المتهاجرين[١]، ولحديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الماشيان إذا اجتمعا فأيُّهما بَدَأَ بالسَّلامِ فهو أفضَلُ»[٢].

قال محمدُ بنُ رِزْقِ القرطبيُّ رحمه الله:

وإنِّي لأستهدي الرياحَ سلامَكم	إذا ما نسيمٌ من بلادِكُم هَبَّا
وأسألُها حَمْلَ السَّلامِ إليكُمُ	لتعلمَ أنِّي لا أزالُ بِكُم صَبَّا[٣]

وكذلك رَدُّ السَّلامِ يكونُ بأحْسَنِ منه وأَجْمَلِ لقولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

أي إذا سلَّم عليكم مسلمٌ فأجيبوا بأحسنِ منها أو رُدُّوها كما سَلَّم: فإذا قال السَّلامُ عليكم، فقُلْ: وعليكم السلامُ ورحمةُ اللهِ، وإذا قال: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، فقُلْ: وعليكم السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، فَرُدَّ مِثْلَهُ أو أحسنَ منه.

قال ابنُ عثيمين رحمه الله: قال العلماءُ - رحمهم اللهُ - ابتداءُ السلام سنةٌ وردُّهُ واجبٌ لقولِ اللهِ - تعالىٰ -: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

فأمَرَ اللهُ - تعالىٰ - أولًا بالأَحْسَنِ فإنْ لم يَكُنْ فبِرَدِّها بمثلِها والحُسْنُ في الردِّ يكونُ بالصيغةِ ويكونُ بالصَّوتِ ويكونُ بالوَجْهِ فمثلًا إذا قال: السلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ فالأَحْسَنُ أنْ تقولَ: وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ أو: عليكَ السلامُ ورحمةُ

---

(١) «رَواهُ البُخاريُّ» (٦٠٧٧).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ في «الأدبِ المُفْرَدِ» (٩٩٤)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (١١٤٦).

(٣) «المحمدونَ مِنَ الشُّعَراءِ» (٣٢٥).

اللهِ حياكَ اللهُ أو: عليك السلامُ ورحمةُ اللهِ أهلًا وسهلًا هذا في الصيغة في الصوتِ إذا قال عليك السلامُ بصوتٍ واضحٍ جهرًا فالردُّ عليه بأنْ يكونَ رَدُّكَ أوضحَ من سلامهِ وأبْيَنَ أو علىٰ الأقلِّ يكونُ مثلَهُ.

أما أنْ يُسَلِّمَ عليكَ بصوتٍ مسموعٍ بيِّنٍ واضحٍ ثم تَرُدُّ عليه بأنْفِكَ أو بصوتٍ قد يَسْمَعُهُ وقد لا يَسْمَعُهُ فإنَّكَ لم تأتِ بالواجِبِ لأنَّ اللهَ ﷻ قال: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ كذلكَ في البشاشةِ إذا سلَّمَ عليك بِوَجْهٍ بشوشٍ مُنطَلِقٍ ما تَرُدُّ عليه بوَجْهٍ عَبوسٍ مُكْفَهِرٍّ؛ لأنَّكَ ما حَيَّيْتَهُ بما حيَّاكَ بِهِ ولا بأحْسَنَ»[1].

قال أستاذُنا عبدُ الكريم العمادُ – حفظهُ الله –:

رَدَّ اللِّسانُ علىٰ سلامي مُكْرَهًا ... لكِنَّ وجْهَكَ لم يَرُدَّ سَلامي

رُدَّ السلامَ بِخَيْرِهِ أو مِثْلِهِ ... حَقًّا، فتِلْكَ أوامِرُ الإسلامِ

ودَعِ العُبوسَ من الهمومِ فإنَّما ... دُنياكَ طائفةٌ من الأيامِ

فاتْرُكْ لِعلَّامِ الغُيوبِ شُؤونَها ... كُلٌّ يَسيرُ بِحِكْمةِ العلَّامِ

ما أجهلَ الإنسانَ يحملُ هَمَّهُ ... إنَّ الهُمومَ وليدةُ الأوهامِ

٢- تَجَنُّبُ الدخولِ على الناسِ بغَيْرِ إذْنٍ:

وَسُنَّةٌ اسْتِئذانُهُ لِدُخولِهِ ... عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ أقْرَبِينَ وَبُعَّدِ[2]

من مراعاةِ المشاعِرِ أنْ لا يَدْخُلَ المَرْءُ بيتًا غَيْرَ بيْتِهِ إلا بعدَ اسْتِئْذانِ صاحِبِ البيتِ فإن أذِنَ له وإلَّا رَجَعَ.

---

(١) «فتاوى نُور علىٰ الدَّرْبِ» (٢٤/ ٢).

(٢) «نُزْهَةُ الأحْبابِ شَرْحُ مَنظُومَةِ الآدابِ» (٥٧) للمؤلِّف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور: ٢٧].

قال ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُرْشِدُ الباري عبادَهُ المؤمنينَ ألَّا يدخُلوا بيوتًا غيرَ بيوتِهم بغيرِ استئذانٍ، فإنَّ في ذلك عِدَّةَ مفاسِدَ، منها ما ذَكَرَهُ الرسولُ ﷺ حيثُ قال: «**إنَّما جُعِلَ الاستئذانُ من أجْلِ البَصَرِ**»[1] فبسَبَبِ الإخلالِ به يَقَعُ البَصَرُ علىٰ العَوْراتِ التي داخلَ البيوتِ؛ فإنَّ البيتَ للإنسانِ في سَتْرِهِ عورةَ ما وراءَهُ بمنزلةِ الثَّوْبِ في سَتْرِ عورةِ جَسَدِهِ، ومنها أنَّ ذلكَ يُوجِبُ الرِّيبَةَ من الداخِلِ، ويُتَّهَمُ بالشَّرِّ سرقةً أو غيرَها؛ لأنَّ الدخولَ خُفْيَةً يدُلُّ علىٰ الشَّرِّ.

ومَنَعَ اللهُ المؤمنينَ من دخولِ غيرِ بيوتِهِم، (حتىٰ يَسْتأنِسوا) أي يستأذِنوا. سُمِّي الاستئذانُ استئناسًا؛ لأنَّ به يحصُلُ الاستئناسُ، وبعدَمِهِ تحصُلُ الوَحْشَةُ»[2].

٣- إنزال الناسِ منازِلَهُم:

وأنزَلْتُ كُلَّ الناسِ كُلًّا مَقامَهُ ... لِكُلِّ امرئٍ عِنْدَ الكَريمِ مَقامُ[3]

من مراعاةِ المشاعِرِ إنزالُ الناسِ منازِلَهم قال اللهُ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [المجادلة: ١١].

أي افْسَحُوا لهؤلاءِ كبارِ السِّنِّ، ولما لهؤلاءِ السابقين الأوَّلين من حَقٍّ وقَدْرٍ، فلِكُلِّ كبيرٍ حَقٌّ، ولِكُلِّ سابقٍ بالخَيراتِ قَدْرٌ، ودينُنا من أصولِهِ إنزالُ الناسِ

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٦٢٤١)، و«مُسْلِمٌ» (٢١٥٦).

(٢) تَفْسِيرُ ابنِ سَعْدِيٍّ (٥٦٥).

(٣) قالَهُ أُستاذُنا عَبْدُ الكَريمِ العماد – حَفِظَهُ اللهُ –.

منازلَهم... الكبيرُ لَهُ حَقٌّ، والجارُ له حقٌّ وكُلٌّ له حَقٌّ مشروعٌ في سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ فكَونُ أَحَدِ هؤلاءِ الفُضَلاءِ أَحَدَ هؤلاءِ السابقين الأوَّلين، أَحَدَ هؤلاءِ كبارِ السِّنِّ يأتي وقد سَبقَهُ الصغارُ فيَطلُبُ من الصغيرِ أنْ يُفسِحَ له وهو لا يُفسِحُ فأدَبُهُ فيه خَلَلٌ، ولذلك أُرْشِدُوا إلىٰ هذا الخَلَلِ كَيْ يتَّقُوهُ وكي يَبْتَعِدُوا عَنْهُ[1].

ومِمَّا يَدُلُّ علىٰ إنزالِ الناسِ منازِلَهم حديثُ عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصَلَّىٰ الناسُ؟ قُلْنا: لا هُمْ ينتظرونَكَ... فأَرْسَلَ النبيُّ ﷺ إلىٰ أبي بَكْرٍ بأَنْ يُصَلِّيَ بالناسِ فأتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُرُكَ أنْ تُصَلِّيَ بالناسِ.

فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلًا رقيقًا -: يا عُمَرُ صَلِّ بالناسِ. فقال لَهُ عُمَرُ أنت أَحَقُّ بذلك فصَلَّىٰ أبو بكرٍ تِلْكَ الأيامَ»[2].

فها هو النبيُّ ﷺ يُنزِلُ أبا بكرٍ مَنزِلَتَهُ، وكذلك عُمَرُ حينما قال له أبو بكرٍ: يا عُمَرُ صَلِّ بالناسِ».

أولئـــك قـــومٌ شَـيَّدَ اللهُ فَخْـرَهُم فمـا فَوْقَـهُ فَخْـرٌ وإنْ عَظُـمَ الفَخْـرُ
سَـمَوْا في المعـالي رُتْبـةً فـوقَ رُتْبَـةٍ أَحَلَّـتْهُمْ حَيْـثُ النعـائِمُ والنَّسْرُ»[3]

وبناءً علىٰ ذلك فعلينا أن نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم كلًّا بقَدْرِهِ ككبارِ السِّنِّ والعلماءِ والوُجَهاءِ والضيوفِ والغُرباءِ وكلُّ مَنْ لَهُ حَقٌّ علينا.

سبحانَ مَـنْ رَزَقَ النفـوسَ خلالَهـا فمناقِـــبٌ مـــأثورةٌ ومثالِـــبُ

---

(١) سِلْسلةُ التَّفْسِيرِ لِلعدويِّ (٥٥/ ١٢).

(٢) «رواهُ البُخاريُّ» (٦٨٧).

(٣) «أمالي القَالي» (١/ ٥٤).

وَفِّ الرجالَ إذا حكمتَ حقوقَهم ... إنَّ الرجالَ منازلٌ ومراتبُ[١]

٤- التَّفسُّح في المجالِسِ:

بِهِ ازْدَهَتِ الدُّنيا وسُرَّتْ وأَشْرقَتْ ... بذكرِ المعانِ في صُدُورِ المجالِسِ[٢]

من مراعاةِ المشاعرِ التفسُّحُ في المجالِسِ فذلك أدَبٌ ربانيٌّ، قال اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا أدَبٌ من اللهِ لعبادِهِ المؤمنين، إذا اجْتمعوا في مجلسٍ من مجالسِ مجتمعاتِهم، واحتاجَ بعضُهُم - أو بَعْضُ القادمين عليهم - للتَّفسُّحِ له في المجلسِ فإنَّ من الأدَبِ أن يُفْسِحوا له تحْصِيلًا لهذا المقصودِ، وليس ذلك بضارٍّ للفاسِحِ شيئًا، فيَحْصُلُ مقصودُ أخيهِ من غيرِ ضررٍ يَلْحقُهُ، والجزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ فإنَّ مَنْ فَسَحَ فَسَحَ اللهُ له، ومَنْ وَسَّعَ لأخيهِ وسَّعَ اللهُ عليه».

ولا يَقْتَصِرُ التفسُّحُ على المجالسِ، بَلْ يدْخُلُ في ذلك التفسُّحُ في الطريقِ وسواءٌ أكنتَ ماشيًا أو راكبًا، فتُفْسِحُ لأخيك، وتَمْنَحُهُ جبينًا طلْقًا يَفْسَحُ اللهُ لك في قلبِهِ، ويَفْسَحُ لك في الرِّزْقِ، والبَرَكةِ والخيراتِ.

وقد نهىٰ الإسلامُ عن إقامةِ الرَّجُلِ من مجلسِهِ ثم الجلوسِ فيه مراعاةً لمشاعِرِهِ فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ أنْ يُقامَ الرَّجُلُ من مجلسِهِ، ويَجْلِسَ فيه آخَرُ، ولكنْ تفَسَّحُوا وتوسَّعوا، وكان ابنُ عُمَرَ يكرَهُ أنْ يقومَ الرَّجُلُ من مجلسِهِ ثم يَجْلِسُ مكانَهُ آخَرُ»[٣].

---

(١) ديوانُ أحمدَ محرم رَحِمَهُ اللهُ (٩٧١).

(٢) «الإبانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ المُتنبي» (١٣٩).

(٣) «رواهُ البُخارِيُّ» (٦٢٧) واللفظُ لهُ، و«مسلمٌ» (٢١٧٧).

والحكمةُ من هذا النهيِ كما يقولُ ابنُ أبي جمرةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنعُ استنقاصِ حقِّ المسلمِ المقتضي للضغائنِ، والحَثُّ على التواضعِ المقتضي للموادَّةِ وأيضًا فالناسُ في المباحِ كُلُّهم سواءٌ فمن استحقَّ شيئًا استحقَّهُ، ومن استحقَّ شيئًا فأُخِذَ منه بغيرِ حَقٍّ فهو غَصْبٌ والغَصْبُ حرامٌ»[1].

قلتُ: إذا تنازَلَ صاحِبُ المجلسِ عن مجلسِهِ لغيرِهِ، فلا مانِعَ من الجلوسِ فيه؛ لأنَّ الحَقَّ له وقد تنازَلَ عنه، وأما ما نُسِبَ إلى ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيقولُ النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا وَرَعٌ منه، وليس قعودُهُ فيه حرامًا إذا قامَ برضاهُ، لكنَّهُ تَوَرُّعٌ من وَجْهين:

أحَدُهما: أنه ربَّما استحيا منه إنسانٌ فقامَ له من مجلسِهِ من غيرِ طيبِ قلبِهِ، فسَدَّ ابنُ عُمَرَ البابَ لِيَسْلَمَ من هذا.

والثاني: أنَّ الإيثارَ بالقُرَبِ مكروهٌ أو خِلافُ الأَوْلَى فكان ابنُ عُمَرَ يمتنعُ عن ذلك لئَلَّا يرتكبَ أحَدٌ بسببِهِ مكروهًا أو خلافَ الأَوْلَى بأنْ يتأخَّرَ عن موضِعِهِ في الصَّفِّ الأَوَّلِ ويُؤْثِرَهُ به وشِبْهَ ذلك»[2].

قال الشاعِرُ يمدَحُ قومًا هُمْ صُدورُ المجالِسِ:

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوهُها ... وأَنْدِيةٌ ينتابُها القَولُ والفِعْلُ
إذا جِئْتَهُمْ ألفَيْتَ حولَ بيوتِهِمْ ... مجالِسَ قد يُشْفَى بأحلامِها الجَهْلُ[3]

---

(١) «فتحُ البارِي» (١١/ ٦٥).

(٢) «شَرْحُ النَّوويِّ على مُسْلِمٍ» (١٤/ ١٣٣).

(٣) «العُمْدَةُ في محاسِنِ الشِّعْرِ وآدابِه» (٢/ ١٣٤).

٥- تَجَنُّبِ التفريقَ بين اثنينِ إلا بإذْنِهما:

لا مَرْحبًا بِغَدٍ ولا أهلًا بِهِ ... إنْ كانَ تفريقُ الأحبَّةِ في غَدِ[1]

من مراعاةِ المشاعِرِ أنه متىٰ جَلَسْتَ في مجلسٍ فاحْذَرْ أنْ تَجْرَحَ مشاعِرَ مَنْ تُجالِسُ من الناسِ بالتَّفْرِقَةِ بين اثنين بِجُلوسِكَ بينهما فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لَكَ.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بين اثنينِ إلا بإذْنِهما**»[2].

«والعِلَّةُ من ذلك أنَّه قد يكونُ بينهما محبَّةٌ ومودَّةٌ وجريانُ سِرٍّ وأمانةٌ فيَشُقُّ عليهما التَّفريقُ بجلوسِهِ بينهما»[3].

٦- حُسْنُ الاستماعِ:

أنتَ المخاطَبُ لا يُهدَى لسائِلِهِ ... سُوءُ استماعٍ ولا يُصْغَى لعاذِلِهِ[4]

من مراعاةِ المشاعِرِ حُسْنُ إصغاءِ الرجلِ لِمَنْ يُحَدِّثُهُ فإنَّ إقبالَهُ بالإصغاءِ إليه بالأُذُنِ، وطَرْفِ العينِ، وحضورِ القلب وإشراقةِ الوَجْهِ يدلُّ علىٰ ارتياحِهِ لمجالستِهِ، وأُنْسِهِ بحديثِهِ، ومراعاته لمشاعِرِهِ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «الجليسي عليَّ ثلاثٌ: أنْ أرميَهُ بطَرْفِي إذا أقبلَ وأنْ أُوسِعَ

---

(١) «أشعارُ الشعراءِ الجاهلين» (٣٧).

(٢) (حَسَنٌ صحيحٌ) «أخرجَهُ أبو داود» (٤٨٤٥). وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٦٥٦).

(٣) «عَوْنُ المعبودِ» (١٣/ ١٣٣).

(٤) «ديوانُ ابنِ الروميِّ» (٣٥٧٠).

له في المجلسِ، وأن أُصغِيَ إليه إذا تَحدَّثَ»[١].

وقال معاذُ بنُ سعيدٍ الأعورُ: «كُنْتُ جالسًا عند عطاءَ بنِ أبي رباحٍ، فحدَّثَ رَجُلٌ بحديثٍ فَعَرَضَ رجلٌ من القومِ في حديثِه، قال: فغَضِبَ، وقال: ما هذِهِ الطِّباعُ؟!، إنِّي لأَسْمَعُ الحديثَ من الرَّجُلِ وأنا أَعْلَمُ بِهِ، فَأُرِيهِ كأني لا أُحْسِنُ شَيْئًا»[٢].

وقال المدائنيُّ: «أوصىٰ خالدُ بنُ يحيىٰ ابنَه، فقال: «يا بُنَيَّ، إذا حدَّثَكَ جليسُكَ حديثًا فأقبِلْ عليه، وأَصْغِ إليه، ولا تقلْ: قد سمعتُهُ، وإن كُنْتَ أَحْفَظَ منه، فإنَّ ذلك يُكْسِبُكَ المَحبَّةَ والميلَ إليكَ»[٣].

وقال إبراهيمُ بنُ الجنيدِ: قال حكيمٌ لابنِهِ: «يا بُنَيَّ، تعلَّم حُسْنَ الاستماعِ كما تتعلَّمُ حُسْنَ الكلامِ، فإنَّ حُسْنَ الاستماعِ إمهالُكَ المتكلِّمَ حتىٰ يُفْضِيَ إليك بحديثِهِ، والإقبالُ بالوجهِ والنظَرِ، وتركُ المشاركةِ بحديثٍ أنت تعرفُهُ»[٤].

قال أبو تمام:

مَـنْ لـي بإنـسانٍ إذا أغْـضَبْتُهُ ... وجَهِلْـتُ كـانَ الحلـمُ رَدَّ جوابِـهِ

وإذا صَبَوتُ إلى المُدامِ شَرِبْتُ مِنْ ... أخلاقِـهِ وسَـكِرْتُ مِـن آدابِـهِ

وتـراهُ يُـصْغي للحـديثِ بِطَرْفِـهِ ... وبقَلْبِـهِ ولَعَلَّـهُ أدرى بِـهِ[٥]

---

(١) «عُيونُ الأخبارِ» (١/ ٣٠٧).

(٢) «روضةُ العقلاءِ» (ص٧٢).

(٣) «بهجةُ المجالسِ» (١/ ٤٣).

(٤) «الفقيهُ والمُتفقِّهُ» ٢/ ٣٢).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشعرِ» (٢/ ٦).

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

قَطَعْتَ حَدِيثَهُ ودخلْتَ فيهِ ... ليدري النَّاسُ أنَّكَ مِنْهُ أدْرَى؟

خَسِئْتَ، فَلَمْ يقولوا ذاكَ لكنْ ... رأيتُ القومَ تنظُرُ فيكَ شَزْرا

أردتَ مكانةً فربحتَ ذُلًّا ... ونِلْتَ خَساسةً ونزلْتَ قَدرا!

٧- لا تسبقِ الكبيرَ بالحديث:

لَئِنْ سَبَقَ الكبيرُ لأَهْلُ سَبْقٍ ... له فضلُ الكبيرِ على الصَّغيرِ[(١)]

من مراعاةِ مشاعرِ الكبيرِ عدمُ سبْقِهِ بالحديثِ والكلامِ؛ لأنَّ للكبيرِ حقًّا يَجِبُ أن يُراعَى.

فعن عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليس مِنَّا مَنْ لم يعرفْ حَقَّ كبيرِنا ويرحَمْ صغيرَنا**»[(٢)].

ولما جاءَ حويصةُ ومحيصةُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ وذَهَبَ محيصةُ يتكلَّمُ قال له النبيُّ ﷺ «كَبِّر كَبِّر» يريدُ السِّنَّ فتكلَّمَ حويصةُ ثم تكلَّمَ مُحيصةُ»[(٣)].

وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: إنَّ من الشَّجرِ شجرةً مَثَلُها كَمَثَلِ المسلمِ، فأَرَدْتُ أنْ أقول: هي النخلةُ، فإذا أنا أصْغَرُ القومِ فسكتُّ» قال النبيُّ ﷺ: «**هي النخلةُ**»[(٤)].

وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: لقد كنتُ علىٰ عَهْدِ النبيِّ ﷺ غلامًا فكنتُ

---

(١) «العِقْدُ المُفَصَّلُ» (١٢٣).

(٢) (صحيحٌ) أخرَجَهُ أحمدُ (٦٩٣٥) وصححهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الأدبِ المُفْرَدِ» (٣٥٥).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٧١٩٢).

(٤) «رواهُ البخاريُّ» (٧٢)، ومسلمٌ (٢٨١١).

أحفظُ عنه فما يَمنَعُني من القولِ إلا أنَّ ها هنا رجالًا أسَنُّ مِني»[١].

وإنـــي لِلكبيــرِ محتمــلٌ ... في القــدرِ مــن مَنصبي ومــن شِيَمي

وإنْ يَعُــقْ عــاتقٌ فلســتُ عَلَــى ... جميــلِ رأيي عنــدي بمتَّهَمِ[٢]

٨- تَجنُّبُ مقاطعةِ المُتحدِّثِ:

وتــراهُ يُـصْغي للحـديثِ بطَرْفِـهِ ... وبقلْبِــهِ ولَعَلَّــهُ أدرى بِــهِ[٣]

من مراعاةِ المشاعرِ تَجنُّبُ المقاطعةِ علىٰ المتحدِّثِ حديثَه حتىٰ ينتهيَ منه والإقبالُ عليه بالوجهِ والنَّظَرِ.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إذا قلتَ للناسِ: أنصِتوا وهم يتكلَّمون فقد ألغيتَ علىٰ نفسِك**»[٤].

قال الألبانيُّ رحمه الله معلِّقًا علىٰ هذا الحديثِ: «**وفي هذا الحديثِ تحذيرٌ من الإخلالِ بأدَبِ الحديثِ والمجالسَةِ، وهو أنْ لا يقطعَ علىٰ الناسِ كلامَهم بل يُنصِتُ حتىٰ ينتهيَ كلامُهم**»[٥].

وقال أنسٌ رضي الله عنه في وصفِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**كان إذا لَقِيَهُ أحدٌ من أصحابِه فقام مَعَهُ، قامَ مَعَهُ، فلم ينصرفْ حتىٰ يكونَ الرجُلُ هو الذي ينصرفُ عنه، وإذا لَقِيَهُ أحدٌ**

---

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٦٤٤).

(٢) «الجليسُ الصالحُ الكافي» (٤٧).

(٣) غُرَرُ الخصائصِ للوطواطِ (٥٤٢).

(٤) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (٨٢١٨) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (١٧٠).

(٥) «السِّلسِلَةُ الصحيحةُ» (١/ ٣٢٩).

من أصحابِهِ فتناوَلَ يَدَهُ ناوَلَهُ إياها، فلم ينزِعْ يَدَه منه حتىٰ يكونَ الرجُلُ هو الذي ينزِعُ يَدَهُ منه، وإذا لَقِيَ أحدًا من أصحابِهِ فتناولَ أُذُنَهُ ناولَهُ إياها ثم لم ينزِعْها حتىٰ يكونَ الرجلُ هو الذي ينزِعُها عنه»[١].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: بينما النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يحدِّثُ القومَ، جاءَهُ أعرابيٌّ فقال: متىٰ الساعةُ؟ فمضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ. فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قال فكرِهَ ما قال، وقال بعضُهم: بل لم يَسْمَعْ. حتىٰ إذا قَضَىٰ حديثَه قال: أين أراه السائِلُ عن الساعةِ؟ قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ. قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ». قال: كيف إضاعَتُها؟

قال: إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلىٰ غيرِ أهلِهِ فانتظرِ الساعةَ»[٢].

الشاهِدُ قولُهُ: «فمضَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ» أي: ولم يقطعْ حديثَهُ، وذلك؛ لأنَّ الحَقَّ لِمَنْ كان بالمجلسِ لا لهذا السائِلِ فناسَبَ أنْ لا يقطَعَ النبيُّ ﷺ حديثَهُ حتىٰ يقضِيَهُ.

إنْ أنتَ جالسْتَ الرجالَ ذوي النُّهى ... فاجلسْ إليهم بالكمالِ مُؤدَّبا

واسمعْ حديثَهُمُ إذا هُمْ حدَّثوا ... واجعلْ حديثَك - إنْ نطقتَ وهُذَّبا[٣]

٩- تَجنُّبِ الاستماعَ لحديثِ قومٍ بدونِ إِذْنٍ:

إنَّ الأُلىٰ سَمِعوا الحديثَ مُلَفَّقًا ... جَهِلوا الصريحَ المَحْضَ من أنبائِهِ[٤]

---

(١) (حَسَنٌ) أخرجَهُ ابنُ سَعْدٍ في الطبقاتِ (١/ ٣٧٨) وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في (صحيحِ الجامعِ) (٤٧٨٠).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٥٩).

(٣) «عيونُ الأخبارِ» (١/ ٣٠٧).

(٤) «ديوانُ أحمدَ مُحَرَّم» (٨١١).

من مراعاةِ المشاعِرِ تَجَنُّبُ الاستماعِ إلىٰ حديثِ قومٍ لا يُحِبُّونَ ذلكَ الاستماعَ.

فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَحَلَّمَ بحُلْمٍ لم يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بين شعيرتين ولَنْ يَفْعَلَ، ومن استمعَ إلىٰ حديثِ قومٍ وهم لَهُ كارهون أو يَفِرُّون منه صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ[1] يومَ القيامةِ، ومن صوَّر صورةً عُذِّبَ وكُلِّف أن يَنفُخَ فيها وليسَ بنافخٍ»[2].

والنهيُ مقيَّدٌ بما إذا كان القومُ كارهينَ لذلكَ، ويخرجُ بذلك ما إذا كانوا راضين بِهِ، ويخرجُ - أيضًا - إذا كان كلامُهُم جهرًا يُسْمَعُ مِنْ حولِهم؛ لأنَّهم لو أرادوا إخفاءَهُ لم يَجْهروا بِهِ»[3].

ومن جميلِ الشِّعْرِ:

يَسْتَوجِبُ الصَّفْعَ في الدنيا ثمانيةٌ ... لا لَوْمَ في واحدٍ منهم إذا صُفِعا

ثم ذكرَ منهم:

ومتحفٌ بحديثٍ غيرَ سامِعِهِ ... وداخلٌ في حديثِ اثنين مُنْدَفِعا[4]

١٠- التنادي بأحَبِّ الأسماء:

فإن تَسْجِنوا القَسْريَّ لا تسجنوا اسمَهُ ... ولا تَسْجنوا معروفَهُ في القبائلِ[5]

---

(١) الآنُكُ: هو الرَّصاصُ المُذابُ. انظرْ «فتح البارِي» (١٢/ ٤٤٧).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠٤٢).

(٣) انظرْ «فتح البارِي» (١٢/ ٤٤٧).

(٤) «إصلاحُ المجتمعِ» للبيحاني (٣٦٠).

(٥) «التذكرةُ الحمدونيةُ» (٤/ ٣٠٥).

من مراعاةِ المشاعرِ أنْ تناديَ أخاكَ باسْمٍ محبوبٍ إليه.

فقد كان النبيُّ ﷺ ينادي أصحابَهُ بأحبِّ الأسماءِ إليهم، حتى الأطفالَ الصِّغارَ كانَ يُكَنِّيهِمْ أحيانًا(١).

فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ خُلُقًا، وكان لي أَخٌ يُقالُ لَهُ أبو عُمَيْرٍ، وكانَ النبيُّ ﷺ إذا جاءَ يقولُ لَهُ: «**يا أبا عُمَيْرٍ، ما فعلَ النُّغَيْرُ**(٢)»(٣).

فكما أنه من مراعاةِ المشاعرِ التنادي بأحبِّ الأسماءِ فإنَّ التنابزَ بالألقابِ يَجْرَحُ المشاعرَ.

قال اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

فعن جبيرةَ بنِ الضحَّاكِ رضي الله عنه قال: نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ في بني سَلِمَةَ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، قال: قَدِمَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ وليس مِنَّا إلا ولَهُ اسْمانِ، أو ثلاثةٌ، فجعل النبيُّ ﷺ يقولُ: «يا فلانُ»، فيقولون: مَهْ(٤) يا رسولَ اللهِ؛ إنَّهُ يَغْضَبُ من هذا الاسمِ فأُنْزِلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾(٥).

---

(١) فائدةٌ: قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله: «لا يَلْزَمُ من جوازِ التكنيةِ أن يكونَ له وَلَدٌ، وأنْ يُكنى باسمِ ذلك الولَدِ، واللهُ أعلمُ» «تحفة المولود» (١٠١).

(٢) النُّغيرُ: تصغيرُ نُغَرٍ، واحِدِ النُّغرانِ وهو طائرٌ أحمرُ المنقارِ يُشْبِهُ العصفورَ، كان يَلْعَبُ به فماتَ، فَحَزِنَ عليه، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يَسْتقبلُهُ، ويقولُ له ذلك مازحًا ومداعبًا.

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٦١٢٩)، و«مسلمٌ» (٢١٥٠).

(٤) مَهْ: كلمةُ نهيٍ وَزَجْرٍ، وهي فِعْلُ أمرٍ بمعنى انْكَفِفْ عمَّا أنتَ فيه.

(٥) (صحيحٌ) أَخْرَجَهُ أبو داودَ (٤٩٦٢)، و«التِّرْمِذِيُّ» (٣٢٦٨)، و«ابنُ ماجهْ» (٣٧٤١) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجهْ» (٣٧٤١).

«أُكْنِيهِ حِينَ أُنادِيهِ؛ لأُكْرِمَهُ ولا أُلَقِّبُهُ ما أَسْوأَ اللَّقَبَا!
كَذاكَ أُدِّبْتُ حتَّى صارَ من خُلُقي أنِّي وجَدْتُ مِلاكَ الشِّيمَةِ[1] الأَدَبَا»

١١- لا تشارِكْ في الحديثِ أهْلَهُ:

ولا تُشارِكْ في الحديثِ أَهْلَهُ وإنْ عَرَفْتَ فَرْعَهُ وأَصْلَهُ[2]

إذا رأيتَ أناسًا يتحدَّثون بحديثٍ أنت أدرىٰ به منهم فمنْ مراعاةِ المشاعرِ عدَمُ إقحامِ نفسِكَ فربَّما أفدْتَهم من الناحيةِ العلميةِ لكنْ لم تُراعِ مشاعِرَهم وما زِدْتَ علىٰ أنْ أظهرتَ لهم هَزَلَهُم العلميَّ وربَّما غيَّرتَ مسارَ الحديثِ فكان تجنبُ المشاركةِ من غيرِ أن يدخلوك بينهم أمحضَ في التكرمِ.

قال خالدُ بنُ صفوانَ: «إذا رأيتَ محدِّثًا يحدِّثُ حديثًا قد سَمِعْتَهُ، أو يُخْبِرُ بخَبَرٍ قد عَلِمْتَهُ، فلا تُشارِكْهُ فيه، حِرْصًا علىٰ أنْ يَعْلَمَ أنَّكَ قد عَلِمْتَهُ، فإنَّ ذلك خِفَّةٌ وسوءُ أدبٍ»[3].

وقال ابنُ المقفَّعِ: «ومن الأخلاقِ التي أنتَ جديرٌ بتركها إذا حدَّثَ الرجلُ حديثًا تعرفُهُ ألَّا تسابِقَهُ عليه، وتَفْتَحَهُ عليه وتشارِكَهُ فيه، حتىٰ كأنك تُظْهِرُ للناسِ أنكَ تريدُ أنْ يعلموا أنك تعلمُ مِثْلَ الذي يَعْلَمُ»[4].

١٢- تَجَنُّبِ الاستخفافَ بِحَديثِ النَّاسِ:

لا يَسْتَخِفُّ بما قالوا وإنْ سَخُفَتْ أَخبارُهم، وَيُبِينُ الحقَّ بالأَدَبِ

---

(١) مِلاكُ الشيمةِ: عِمادُها وقوامُها - والشيمةُ - بالكسرِ -: الخُلُقُ، والجمعُ شِيَمٌ.

(٢) «الأخلاقُ الزكيةُ» للأهدلِ (١٧٣).

(٣) «الجامعُ لأخلاقِ الراوِي وآدابِ السامعِ» (٨٩ - ٩٠).

(٤) «الأدبُ الكبيرُ والأدبُ الصغيرُ» (١٦٢).

وينصتونَ إليه وهوَ يُرشِدُهم ... كالشمسِ تَظهَرُ من مركومةِ السُّحُبِ[1]

من مراعاةِ المشاعِرِ تَجَنُّبُ الاستخفافِ بحديثِ الناسِ ولو كان ما تسمَعُهُ منهم ما يُشْبِهُ الوساوسَ وجميلٌ أنْ تُنَبِّهَ علىٰ الخطإِ بأحسنِ إشارةٍ وألطفِ عبارةٍ، أما الاستخفافُ فَخُلُقُ لئامِ الناس.

قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: اسْتَخِفَّ واسْتَجْهِلْ»[2].

وقال البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِصَوْتِكَ: قال الأَزْهَرِيُّ: «أي ادْعُهُمْ دعاءً تَسْتَفِزُّهم به إلىٰ جانِبِك، أي تَسْتَخِفُّهُمْ»[3].

١٣- تَجَنُّبِ النَّجْوَى:

فَدَيْتُكَ لم أحْلِفْ بما قالَ عاذلي ... وما رابني مِنْهُ سوى كثرةِ النَّجوى[4]

عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا كُنتم ثلاثةً فلا يتناجَ رجلانِ دون الآخَرِ حتىٰ تَخْتلطوا بالناسِ أَجْلَ أنَّ ذلك يُحْزِنُهُ»**[5].

قال الخطابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما قال لِيُحْزِنُهُ؛ لأَنَّهُ قد يَتَوَهَّمُ أنَّ نَجْواهُما إنما هي سُوءُ رأْيِهما فيه أوْ لِدَسِيسةٍ غائِلةٍ لَهُ»[6].

---

(١) قالها أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) «جامعُ البيانِ» (١٧/ ٤٩٠ - ٤٩١).

(٣) «تفسيرُ البَغَوِيِّ» (٣/ ١٢٣).

(٤) «التُّحَفُ والطُّرَفُ» (٢١).

(٥) «رواهُ البخاريُّ» (٦٢٩٠)، و«مسلمٌ» (٢١٨٤).

(٦) «فتحُ البارِي» (١١/ ٨٣).

ويدخُلُ في ذلك التحدثُ بين اثنين في لُغَةٍ لا يُحسِنها الطرفُ الآخَرُ.

يمثّلُهُ لي الوَهْمُ حتى كأنّني أعاينُهُ في بعضِ أحوالِهِ عندي

فقد كادت النّجوى تكونُ كأنها مشابهةٌ لولا التوحُّشُ للفَقْدِ[(١)]

١٤- تجنُّبُ المِراءِ وإنْ كان مُحِقًّا:

وإياكَ إياكَ المِراءَ فإنَّهُ إلى الشَّرِّ دعّاءٌ وللغَيِّ جالِبُ[(٢)]

من أرادَ مراعاةَ مشاعِرِ إخوانِهِ فعليه تجنُّبُ المِراءِ وإن كان مُحِقًّا لما يؤولُ إليه من جَرْحِ المشاعِرِ.

وأصلُ المِراءِ في اللُّغَةِ الجدَلُ، وأنْ يَستخرِجَ المَرْءُ من مناظِرِهِ كلامًا فيه معاني الخصومةِ وغيرِها، من مَرَيتِ الشّاةَ إذا حَلَبْتَها واستخرجْتَ لَبَنَها[(٣)].

والمراءُ مذمومٌ لِسُوءِ عاقبَتِهِ على القلوبِ والمشاعِرِ.

فعن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وبيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإنْ كان مازحًا، وبيتٍ في أعلى الجنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»**[(٤)].

فدَلَّ الحديثُ على أنَّ من تَرَكَ الجِدالَ ولو كان مُحِقًّا فإنَّهُ موعودٌ على لِسانِ نبيِّنا ﷺ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ.

---

(١) «المُنتحلُ» (٢٢٩).

(٢) «التذكرةُ الحمدونيةُ» (٢/ ٢١٩).

(٣) «لسانُ العربِ» (١٥/ ٢٧٨) مادةُ (مرا).

(٤) (حسَنٌ) رواهُ أبو داود (٤٨٠٠) وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٧٣).

قال صاحِبُ تُحْفَةِ الأَحوذيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك لِتَرْكِهِ كَسْرَ قلبِ مَنْ يُجادِلُهُ ودَفْعَهُ رِفْعَةُ نفسِهِ وإظهارُ نفاسةِ فَضْلِهِ»[١].

فَدَعْ عنكَ المِراءَ ولا تُرِدْهُ ... لِقِلَّةِ خَيْرِ أسبابِ المِراءِ
وأَيْقِنْ أنَّ مَنْ مارى أخاهُ ... تَعرَّضَ من أخيهِ لِلْحاءِ[٢]

١٥- انْتِقاءُ الكلماتِ الطَّيِّبَةِ:

باللهِ لفظُكَ هذا سالَ من عَسَلٍ ... أَمْ قد صبيْتَ على أفواهِنا العَسَلا[٣]

من مراعاةِ المشاعِرِ انتقاءُ الألفاظِ التي تنسابُ للقلوب كالسَّلْسَبِيلِ وتعشقُها النفوسُ وترتاحُ لها الأرواحُ، والابتعادُ عن الألفاظِ التي تجرحُ المشاعِرَ.

فقد كان السَّلَفُ يَنتَقون الألفاظَ في تخاطُبِهِم مع غيرِهِمْ كما ينتقون أطيبَ الثَّمرِ.

قال بَعْضُهُم: «إنَّ من القلوبِ مَزارِعًا فازْرَعِ الكلمةَ الطيبةَ فإنْ لم تَنْبُتْ كلُّها نَبَتَ بعضُها»[٤].

والكتابُ والسُّنَّةُ يَحُثَّانِ علىٰ انتقاءِ الألفاظِ الطيبةِ مراعاةً لمشاعِرِ الناسِ.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فالشيطانُ يَنْزَغُ بينهم إذا كَلَّمَ بعضُهم بعضًا بغير التي هي أَحْسَنُ فَرُبَّ حَرْبٍ

---

(١) «تحفةُ الأَحْوَذِيِّ» (٦/ ١٠٩).

(٢) «من رحيقِ الشعرِ» (٢٣٠).

(٣) «المُنْتَحَلُ» للثعالبي (١٤).

(٤) غُرَرُ الخصائصِ الواضحةِ للوطواطِ (٢٣١).

وَقُودُها جُثَثٌ وَهَامٌ، أهاجَها القبيحُ من الكلامِ»[(١)].

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

وعن عديِّ بنِ حاتمٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«اتَّقُوا النارَ ولو بِشِقِّ تمْرةٍ فمَنْ لم يَجِدْ فبكلمةٍ طَيِّبَةٍ»**[(٢)].

وكائِنْ ترى مِنْ صَامِتٍ لك مُعْجِب زيادتُــهُ أو نَقْــصُه في الــتَّكلُّمِ
لِسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلّا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ[(٣)]

١٦- التَّغافُل:

وتَغافَــلْ عــنْ أُمــورٍ إنَّــهُ لم يَفُزْ بالحَمْدِ إلّا مَنْ غَفَلْ[(٤)]

هناك ما يسمَّى بأدَبِ التغافُلِ أو الإغضاءِ عن هفواتِ الناسِ كنوعٍ من مراعاةِ المشاعِرِ.

وقد نَبَّهَ اللهُ إليه في كتابِهِ الكريمِ فقال: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣].

وهذا يَدُلُّ على ما كان عليه رسولُ اللهِ ﷺ من التغاضي وعدمِ تَعقُّبِ الأمورِ صغيرِها

---

(١) «بدائعُ التفسيرِ» لابنِ القيِّمِ (٢/ ١٤٠).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٦٥٣٩)، و«مسلمٌ» (٢٣٤٥).

(٣) «الجليسُ الصالحُ» (١٥٤).

(٤) «الكشكولُ» للحارثيِّ (١/ ٢٣٦).

وكبيرِها وعدمِ التَّعْنِيفِ والتوبيخِ في كُلِّ شيءٍ، إلا في حقوقِ اللهِ ﷻ وذلك ما يرشدُنا إليه قولُهُ تعالىٰ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أي عاتبَ في بعضِ الأمورِ وتغافَلَ عن بعضٍ.

قال أَنَسٌ رضي الله عنه: «لقد خَدَمْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سنينَ، فما قال لي قَطُّ: أُفٍّ، ولا قال: لشيءٍ فعلتُهُ، لِمَ فعلتَهُ؟ ولا لشيءٍ لم أفعلْهُ: ألا فَعَلْتَ كذا؟»[١].

وما من شَكٍّ أَنَّ المخطئَ يربطُ الخَطأَ بمشاعِرِهِ فيدافِعُ عنه كَمَنْ يدافِعُ عن مشاعِرِهِ فتغافَلْ وراعِ مشاعِرَهُ فإنَّ ذلك يترُكُ له فرصةً لمراجعةِ نفسِهِ فلا يعودُ عليها بالتأنيبِ واللومِ إلا إذا أكرمتَها.

وكرامُ الناسِ يُراعون هذا الحَقَّ.

قال الحَسَنُ البَصْريُّ رحمه الله: «ما استقصىٰ كريمٌ قَطُّ قال اللهُ - تعالىٰ -: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾»[٢].

قال الشافعيُّ رحمه الله:

أُحِبُّ مِنَ الأخوانِ كُلَّ مُواتي	وكُلَّ غضيضِ الطرفِ عن عَثَراتي
يوافِقُني في كُلِّ أمرٍ أُرِيدُهُ	ويَحْفَظُني حيًّا وبعدَ مماتي
فمَنْ لي بهذا؟ ليتَ أنِّي أَصَبْتُهُ	تَقَاسَمْتُهُ مالي مِنَ الحَسَناتِ
تَصَفَّحْتُ إخواني فكانَ أقلُّهُم	على كثرةِ الإخوانِ أهلَ ثِقَاتي[٣]

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٣٥٦١)، و«مسلمٌ» (٢٣٣٠).

(٢) «تفسيرُ القُرْطُبيِّ» (١٨/ ١٨٨).

(٣) «الديوانُ المنسوبُ للشافعيِّ» (٢٧).

١٧- التَّثَبُّتُ في الأخبارِ:

تَثَبَّتْ، إِنَّ قولًا كان زورًا ... أتى النُّعْمانَ قَبْلَكَ عن زِيادِ[(١)]

من مراعاةِ المشاعرِ عدمُ التَّسرُّعِ في نَشْرِ أي خَبَرٍ كان إلا بَعْدَ التأكُّدِ من صِحَّتِهِ والرجوع إلى صاحِبِهِ للتأكُّدِ من صِحَّةِ ما نُسِبَ إليه وسؤالِهِ عن قَصْدِهِ إِنْ صَحَّتِ النِّسْبَةُ إليه.

وتأمَّلْ إلى قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

فهذا نداءٌ وأمْرٌ بالتَّبيُّنِ وتحذيرٌ ثم بيانُ العاقبةِ الوخيمةِ في حالةِ عَدَمِ التروِّي والتَّثبُّتِ.

وعن أبي هريرةَ ؓ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«كفىٰ بالمرءِ إثمًا أنْ يُحدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ»**[(٢)].

قال المناويُّ ؒ: «أي إذا لم يَتَثَبَّتْ؛ لأنَّهُ يَسْمَعُ عادةً الصدق والكذبَ فإذا حَدَّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ لا محالةَ يكذبُ والكذبُ الإخبارُ بالشيءِ علىٰ غيرِ ما هو عليه وإنْ لم يَتَعَمَّدِ الكَذِبَ لكنَّ التعمُّدَ شرطُ الإثمِ»[(٣)].

وعن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا»**[(٤)].

قال الخطابيُّ ؒ: (... وإنما يُقالُ زَعَمُوا في حديثٍ لا سَنَدَ لَهُ ولا ثَبَتَ فيه وإنما

---

(١) «أخبارُ أبي تَمَّامٍ» لِلصُّوليِّ (١٨).

(٢) «رواهُ مسلمٌ» (٥).

(٣) «فيضُ القديرِ» (٢/ ٥).

(٤) (صحيحٌ) أحمدَ (٤/ ١١٩) و«أبو داودَ» (٤٩٧٢)، والبخاريُّ في «الأدبِ المُفْرَدِ» (٧٦٢)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٨٦٦)، وصحيحِ الأدبِ المُفْرَدِ (٥٨٦).

هو شيءٌ حُكِيَ علىٰ الألسُنِ علىٰ سبيلِ البلاغِ فَذَمَّ النبيُّ ﷺ من الحديثِ ما كان هذا سبيلهُ وأمَرَ بالتَّثَبُّتِ فيه والتوثُّقِ لما يحكيهِ من ذلك فلا يَرْوُونَهُ حتىٰ يكونَ مَعْزِيًّا إلىٰ ثَبْتٍ ومرويًّا عن ثِقَةٍ»[1].

وجاء في عَوْنِ المعبودِ نَقْلًا عن اللمعَاتِ ما نَصُّهُ: «... والمقصودُ أنَّ الإخبارَ بخَبَرٍ مَبْناه علىٰ الشَّكِّ والتخمينِ دون الجَزْمِ واليقينِ قبيحٌ بل ينبغي أن يكونَ لخبرِهِ سَنَدٌ ويكونَ علىٰ ثقةٍ من ذلك لا مُجَرَّدَ حكايةٍ علىٰ ظَنٍّ وحُسْبانٍ. وفي المَثَلِ: زعموا مطيَّةُ الكَذِبِ»[2].

وكُـلُّ أنـاةٍ في المَـواطِنِ سُـؤْدَدٌ ... ولا كَأَنـاةٍ مِـن قَـديرٍ مُحَكَّـمِ

ومـا الـرأيُ إلا بعـد طـولِ تَثَبُّـتٍ ... ولا الحَـزْمُ إلا بعـد طـولِ تَلَـوُّمِ[3]

وللتَّثَبُّتِ قواعِدُ وهي:

١- التَّثَبُّتُ من صِحَّةِ الكلامِ المسموعِ أو المقروءِ.

وثمرةُ هذه القاعدةِ الاطْمئنانُ إلىٰ صِدْقِ الخَبَرِ المسموعِ أو المقروءِ؛ لأنَّ الخَبَرَ قد يكونُ كذبًا والروايةَ قد تكونُ مختلفةً، وعندها يُرْفَضُ الخَبَرُ وتُرَدُّ الروايةُ ويَسْلَمُ الإنسانُ من نَقْلِ الأخبارِ المكذوبةِ.

٢- التَّثَبُّتُ من دِقَّةِ كلامِ المتكلِّمِ ووضوحِ عبارتِهِ.

فقد يكونُ أصْلُ الخَبَرِ صحيحًا، والمتكلِّمُ به غَيْرَ متَّهَمٍ بالكذبِ، ولكنْ قد يتبيَّنُ

---

(١) «معالمُ السُّنَنِ» (٧/ ٢٦٧).

(٢) «عونُ المعبودِ» (١٣/ ٣١٥).

(٣) «التذكرةُ الحمدونيةُ» (٣/ ٣٠٩).

أنَّ الخبرَ ليس كما نُقِلَ، وذلكَ لِعَدَمِ دِقَّةِ المتكلِّمِ به في عبارتِهِ وعَدَمِ استطاعتِهِ الإفصاحَ عمَّا يريدُ أو أنَّ نَقْلَهُ للخبرِ كان بأسلوبٍ ركيكٍ غامضٍ، جعل السامعَ يَفْهَمُ منه غَيْرَ المقصودِ، ومن هنا يَجِبُ التثبُّتُ من دِقَّةِ عبارةِ المتكلِّمِ ووضوحِها.

٣- التثبُّتُ من دِقَّةِ فَهْمِ السامِعِ واستيعابِهِ.

في هذهِ الحالةِ قد يكونُ المتكلِّمُ بالخبرِ دقيقًا في عبارتِهِ وأدائِهِ، وهو صادقٌ فيما يَنْقُلُ، ولكنَّ التثبُّتَ يَنْصَبُّ في هذهِ الحالةِ على دِقَّةِ فَهْمِ السامِعِ للكلامِ المنقولِ، فقد يكونُ السامِعُ بطيءَ الاستيعابِ، سيِّئَ الفَهْمِ فيَفْهَمُ الكلامَ على غيرِ مقصودِهِ، فينقُلُهُ بعد ذلك لغيرِهِ بفَهْمِهِ الخاطئِ، ومن هنا - أيضًا - تبدأُ الإشاعاتُ والأكاذيبُ، مع أنَّ الناقِلين لم يُؤْتَوا من كَذِبِهم فهُمْ صادقون، ولكنَّهم أُتُوا من سُوءِ فَهْمِهِم، وقِلَّةِ انتباهِهِم، ومن هنا يَجِبُ التثبُّتُ من أنَّ السامِعَ قد فَهِمَ الفَهْمَ الدقيقَ الصحيحَ لما سَمِعَ»[1].

ومن جميلِ ما قِيلَ في التثبُّتِ من الشِّعْرِ:

فقلتُ لَهُ: تَثَبَّتْ تَلْقَ رُشْدًا ... فكم من سُرْعَةٍ وهَبَتْكَ غَيًّا
فإنكَ لو عرفْتَ ودادَ قلبي ... إليكَ، لَجِئْتَ معتذرًا إليَّا[2]

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

كاذبٌ أَخْبَرَ عيًّا ... وروى العَيُّ لأحْمَقْ
نقلَ الأحمقُ ذاكَ الـ ... ـخَبَرَ السِّرَّ لأخرقْ
وتلقَّى منهم القِصْـ ... ـصَةَ مَنْ لَمْ يَتَوَثَّقْ

(١) «التثبُّتُ في نقلِ الأقوالِ» لعبد العزيزِ بنِ ناصرِ الجليلِ مَقالٌ منشورٌ في «مُلْتَقَى أهلِ الحديثِ» في الشبكةِ.
(٢) «دواوينُ الشعرِ العربيِّ» (٢٧/ ٩٢).

جعلوا الفأرةَ أُسطو	لا على البحر وفيلق
شك بين الناس حتى	كاد حقًّا أن يُصَدَّق
أصلُهُ: للفأرِ جيشٌ	ولواءُ الجيش أزرق!!!!
أحمقٌ، عَيٌّ، وأخرقُ	سامع لا يتحقَّق

١٨- تَجنُّبُ الضَّحكِ مما يَخْرُجُ من الإنسانِ(١):

هي النفسُ ما حَسَّنْتَهُ فمُحَسَّنٌ	إليها وما قَبَّحْتَهُ فمُقَبَّحُ(٢)

من مراعاةِ المشاعِرِ تجنُّبُ الضحِكِ مما يخرجُ من الإنسانِ بل من الأدبِ وحُسْنِ

(١) تنبيه مهم: إخراجُ الريحِ - لو بصوتٍ - لِعُذْرٍ، كَمَنْ به انفلاتُ ريحٍ، أو المريضِ بالقولون، ومَنْ لم يتمكَّنْ من حَبْسِها - فهذا لا شيءَ عليه، ولا يجوزُ أنْ يتضاحَكَ الناسُ من فعلِه؛ لما سِياقٍ من الدليلِ، أمَّا تَعَمُّدُ إخراجِ الريحِ أمامَ الناسِ فليسَ ذلك من أخلاقِ المسلم، قال الخرائطيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «مكارم الأخلاق» (١/ ٤٨٤): «ولا شكَّ أنَّ تَعَمُّدَ إخراجِ الريحِ أمامَ الناسِ لغيرِ عُذْرٍ مُنافٍ للحياءِ، مناقضٌ للمروءةِ، وهو من مساوئِ الأخلاقِ، ولا يُقْصَدُ مثلُهُ إلا عن السُّفَهاءِ» انتهى.

وسُئِلَ علماءُ اللجنةِ الدائمةِ للإفتاءِ كما في «فتاوى اللجنةِ الدائمة» (٢٦/ ١١١): حَدَثَ في هذا الزمانِ أناسٌ - وللأسَفِ - إذا اجتمعوا يتضارطون، فيضحكُون على ذلك مُعجَبين بهذا الفِعْلِ، وإذا قيل لهم: اتركوا هذه الأفعالَ الذميمةَ، قالوا: إنَّها أولَى من الجُشَاءِ أو مِثْلِه، مع عدمِ الدليلِ المانِعِ لذلك، فبماذا يُجابون؟ أثابكم اللهُ؟

فأجابوا: لا يجوزُ التَّضارُطُ تصنُّعًا، ولا الضَّحِكُ من ذلك؛ لمخالفةِ ذلك للمروءةِ ومكارمِ الأخلاقِ، وليسَ ذلك مِثْلَ الجُشَاءِ، فإنَّ الجُشَاءَ يخرجُ عادةً دون قَصْدٍ إليه، ولا يُضْحَكُ منه.

أما إذا خَرَجَ الضُّراطُ من مخرجِهِ الطبيعيِّ دونَ تَصنُّعٍ، فلا حَرَجَ فيه، ولا يجوزُ الضَّحِكُ منه؛ لما ثَبَتَ عن عبدِ اللهِ بن زمعة أنه قال: «نهى النبيُّ ﷺ أنْ يَضْحَكَ الرجلُ ممَّا يخرجُ من الأنفسِ». ا.هـ.

(٢) «التمثيل والمحاضرة» (٨٩).

المعاشرةِ إظهارُ التغافلِ عنها والاستمرارُ في الحديثِ وكأنَّهُ لم يَحْصُلْ من ذلك شيءٌ.

فعن عبدِ اللهِ بن زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ وعظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ من الضَّرْطَةِ وقال: «لِمَ يضْحَكُ أحدُكم مِمَّا يَفْعَلُ؟»[1].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فيه النَّهْيُ عنِ الضَّحِكِ من الضَّرْطَةِ يَسْمَعُها مِن غيرِه، بل ينبغي أن يتغافَلَ عها ويستمرَّ علىٰ حديثِهِ واشتغالِهِ بما كان فيه من غيرِ التفاتٍ ولا غيرِه، وَيُظْهِرُ أنَّه لم يَسْمَعْ وفيه حُسْنُ الأَدَبِ والمعاشرةِ»[2].

ومن طريفِ ما يُذْكَرُ عن أبي عليٍّ الدقَّاقِ قال: جاءتِ امرأةٌ فسألَتْ حاتمًا عن مسألةٍ، فاتَّفَقَ أنه خرجَ منها صوتٌ في تلك الحالةِ فخَجِلَتْ، فقال حاتمٌ: ارفعي صوتَك فأوهَمَها أنه أصَمُّ فَسُرَّت المرأة بذلك».

وقالتْ: إنَّهُ لم يَسْمَعِ الصوتَ فلُقِّبَ بحاتمِ الأصَمِّ[3].

سَـهْلَ الفِنـاءِ إذا حلَلْـتَ ببابِـهِ ... طَلْـقُ اليـدينِ مُـؤَدَّبُ الخُـدَّامِ
وإذا رأيـتَ شـقيقَهُ وصـديقَهُ ... لـم تَـدْرِ أيُّهمـا أخـو الأرحـامِ[4]

١٩- إخفاء القبيح:

إنَّـا لفـي زمـنٍ تـركُ القبـيحِ بِـهِ ... من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجْمالُ!![5]

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٩٤٢)، ومسلمٌ (٢٨٥٥).

(٢) «شرحُ النَّوويِّ علىٰ مُسْلِمٍ» (١٧/ ١٨٨).

(٣) «مدارجُ السالكينَ» (٢/ ٣٤٤).

(٤) «أماليُّ الزَّجَّاجِيِّ» (١٤٣).

(٥) «أبو الطيب المتنبي» ما لَهُ وما عليهِ (١٢٨).

علىٰ المرءِ إخفاءُ القبيحِ لئَلَّا يَقَعَ الناسُ في عَدَمِ مراعاةِ مشاعِرِهِ بالتَوَهُّمِ الفاسِدِ.

فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أحْدَثَ أحَدُكُمْ في صلاتِهِ فلْيأخُذْ بأنفِهِ ثم لِيَنْصَرِفْ»[١].

قال الخطابيُّ رحمه الله: «إنما أمَرَهُ أنْ يأخُذَ بأنفِهِ ليُوهِمَ القَومَ أنَّ بِهِ رُعافًا (نزيفًا). وفي هذا البابِ منَ الأخْذِ بالأدبِ في سترِ العورةِ وإخفاءِ القبيحِ والتورية بما هو أحْسَنُ، وليس يَدْخُلُ في بابِ الرِّياءِ والكذبِ، وإنما هو من التَّجَمُّلِ واستعمالِ الحياءِ وطَلَبِ السلامةِ من الناسِ»[٢].

وعلىٰ هذا جَرَتْ عادةُ الناسِ.

قال المدائنيُّ: «جلسَ أشْعَبُ يومًا إلىٰ جانبِ مروانَ بنِ أبانِ بنِ عثمانَ، فانفلَتَتْ من مروانَ ريحٌ لها صوتٌ، فانصرفَ أشعَبُ يوهِمُ الناسَ أنَّه هو الذي خرجَتْ منه الريحُ، فلمَّا انصرفَ مروانُ إلىٰ منزِلِهِ جاءَهُ أشعَبُ فقال له: الدِّيَةَ، قال: دِيَةُ ماذا؟ قال: دِيَةُ الضَّرْطَةِ التي تَحمَّلْتُها عنكَ، وإلَّا شهرتُكَ، فلَمْ يَدَعْهُ حتىٰ أخَذَ منه شيئًا صالَحَهُ عليه»[٣].

نَـحِّ عـن نفسِكَ القبيحَ وصُنْها ... وتَـوَقَّ الـدُّنيا ولا تأمَنَنْهـا
وسـيبقى الحـديثُ بعـدَكَ فـانظرْ ... أيَّ أحدوثـةٍ تكـونُ فكُنْهـا[٤]

---

(١) (صحيحٌ) أخرَجَهُ أبو داودَ (١١١٤)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٢٨٦).

(٢) «عونُ المعبودِ» (٣/ ٣٢٦).

(٣) «نهايةُ الأربِ في فنونِ الأدبِ» (٣٩٣).

(٤) «الأشباهُ والنظائرُ» (٦٦).

٢٠- تحمل كلمات أهل الفضل:

لقد تَحَمَّلتَ عَرْفَ طِيبٍ ... ملأتَ من نَشْرِهِ البطاحا[١]

قد تصْدُرُ من أهلِ الدين والفَضْلِ كلماتٌ تبدو لِأَوَّلِ وهْلةٍ أنَّ فيها جَرْحَ المشاعِرِ ولكنْ مَنْ تأمَّلَ العواقِبَ عَرَفَ أنهم لا يريدون غيرَ الخيرِ.

فكان تحمُّلُ كلماتِهم فيه مراعاةٌ لمشاعِرِهم؛ لأنَّ أهْلَ الفَضْلِ لهم حَقٌّ ومتىٰ وجدوا من يحملُ كلماتِهم علىٰ أحسَنِ المحامِلِ كان ذلك مراعاةً لمشاعِرِهم.

فقد تحمَّلَ هارونُ ﷺ موسىٰ لما أخذَ برأسِهِ يجرُّهُ إليه قال اللهُ ﷻ في شأنِ موسىٰ ﷺ: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤].

ووصَفَ موسىٰ رسولَ اللهِ ﷺ بأنَّه غلامٌ.

فعن أنسٍ رضي الله عنه في حديثِه الطويلِ وفيه: «... **فأتيتُ علىٰ موسىٰ فسلَّمْتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فلما جاوَزْتُ بكىٰ، فقيل له: ما أبكاك؟**

قال: يا ربِّ هذا الغلامُ الذي بُعِثَ بعدي يدخُلُ الجَنَّةَ من أمته أفْضَلُ ممَّا يدخُلُ من أمتي»[٢].

ولما قال أبو عبيدة لِعُمَرَ رضي الله عنهما: أفرارًا من قَدَرِ اللهِ؟ فقال عُمَرُ: لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدةَ[٣].

---

(١) «تحفةُ القادِمِ» (١٨٢).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٣٢٠٧)، و«مُسْلِمٌ» (١٦٤).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٥٧٢٩)، و«مسلمٌ» (٢٢١٩).

وتحمّلَ عُمَرُ رضي الله عنه[١] مقولةَ أزواجِ النبيِّ ﷺ لما قُلْنَ له: «أنتَ أفظُّ وأغلظُ من رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

وصاحبٍ سُمْتُهُ استرفاقَ مُهْلَتِهِ ... بأنْ يدومَ له رِقّي على الزَّمنِ
وما تحمَّلْتُ عِبْأً من قوارصِهِ ... على وقوفي لَهُ إلّا ليَحْمِلَني[٣]

٢١- تَجنُّبُ الفُحشِ والتَّفحُّشِ:

إنّي وإنْ كنتُ لا أرضى الخَنا لفمي ... ولا أَحُطُّ لقولٍ فاحِشٍ هِمَمي[٤]

لا شيءَ أعظمُ من تجنُّبِ الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ لِمَنْ أرادَ أنْ يُراعيَ مشاعِرَ إخوانِهِ ويحافِظَ على وُدِّهِم، والفاحِشُ من دَأْبُهُ وهجيرُهُ الفُحْشُ والخَنا من قولٍ أو فعلٍ والمتفحِّشُ من تكَلَّفَ سَبَّ الناسِ وتعمَّدَهُ[٥].

وليسَ ذلك من صفاتِ المؤمنين ولا من أخلاقِهم.

فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليسَ المؤمِنُ بالطعَّانِ**[٦]**، ولا اللعَّانِ، ولا الفاحِشِ البذيءِ**»[٧].

وأشنعُ ما يجرحُ المشاعِرَ اللَّعْنَةُ حتى أن القلوبَ لا تعودُ صافيةً بعدَها إلا أن يشاءَ اللهُ.

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٣٦٨٣)، و«مسلمٌ» (٢٣٩٦).
(٢) انظرْ: «فِقْهَ الأخلاقِ» (١/ ٦٠).
(٣) «خريدةُ القَصْرِ» (١/ ٤٩).
(٤) «يَتيمَةُ اليتيمةِ» (٥/ ١١٨).
(٥) «اللسانُ» (٦/ ٣٢٦) مادّةُ فُحشٍ.
(٦) بالطعانِ: أيْ وقّاعٌ في أعراضِ الناسِ.
(٧) (صحيحٌ) «أخرجهُ أحمدُ» (٣٩٣٨) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التِّرمذيِّ» (١٩٧٧).

واللعَّانُ لا يكونُ صديقًا، وهو محرومٌ من الشفاعةِ والشهادةِ يومَ القيامةِ، ومن لَعَنَ شيئًا ليس له بأهْلٍ رَجَعَتْ عليه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا ينبغي لصديقٍ أنْ يكونَ لعَّانًا»[١].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ اللَّعَّانين لا يكونون شُهَداءَ ولا شُفَعاءَ يومَ القيامةِ**»[٢].

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رجلًا لَعَنَ الريحَ عند النبيِّ ﷺ، فقال: «**لا تَلْعَنِ الريحَ فإنَّها مأمورةٌ، وإنَّهُ من لَعَنَ شيئًا ليس له بأهْلٍ رجعَتِ اللَّعْنَةُ عليه**»[٣].

وما أَحْسَنَ قولَ القائِلِ:

نَـزِّهْ لـسانَكَ عـن قـولٍ تُعـابُ بـه ... وارغَبْ بسَمْعِكَ عن قيلٍ وعن قالِ

لا تَبْغِ غيرَ الذي يَعنيك واطَّرِحِ الـ ... ـفضولَ تَحْيَى قَريرَ العينِ والبالِ[٤]

٢٢- لا تَنْقُلْ لأخِيكَ ما يُؤْلِمُ نَفْسَهُ:

لعمـرُكَ مـا سَـبَّ الأميـرَ عَـدُوُّهُ ... ولكنَّمـا سَـبَّ الأميـرَ المُبَلِّـغُ[٥]

من مراعاةِ المشاعِرِ أنْ لا تَنْقُلَ لأخيكَ ما يؤلِمُ نفسَهُ، كأنْ تنقلَ له أنَّ فلانًا من الناسِ يَقَعُ فيه وغيرِ ذلكَ من الأذى الذي إذا لَمْ يَبْلُغْهُ لا يَضُرُّهُ بل قد ينفعُهُ بما يصِلُهُ

---

(١) «رواهُ مُسْلِمٌ» (٢٥٩٧).

(٢) «رواهُ مُسْلِمٌ» (٢٥٩٨).

(٣) (صحيحٌ) «أخرجَهُ الترمذيُّ» (١٩٧٨) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٤٤٧).

(٤) «مُعْجَمُ الأدباءِ» (١/ ٣٠١).

(٥) «جَمْهَرَةُ الأمثالِ» (٢/ ٢٧٧).

من حَسَناتٍ لم يتعبْ فيها، وربَّما تضرَّر نفسيًّا وقد كان قبلَها في عافيةٍ.

ومن أمثالِ العربِ: «سَبَّكَ من بَلَّغَكَ السَّبَّ».

أي من واجَهكَ بما قفاكَ بِهِ غَيْرُه من السَّبِّ فهو السَّابُّ[١].

ومن أمثالِهم – أيضًا –: «قولهم: مَن سَبَّكَ قال مَنْ بَلَّغَك» يُريد أنَّ الذي واجَهك بالقبيحِ هو الذي سَبَّك»[٢].

والحكماءُ يَعُدُّون هذا الصنيعَ من فِعْلِ الأرْذالِ قال ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لا تنقُلْ إلى صديقِك ما يُؤلمُ نَفْسَهُ، ولا يَنْتَفِعُ بمعرفتِهِ فهذا فِعلُ الأرذالِ، ولا تكْتُمْهُ ما يَسْتَضِرُّ بجَهْلِهِ، فهذا فعلُ أهْلِ الشَّرِّ»[٣].

وللهِ دَرُّ القائِلِ:

مَنْ يُخَبِّرْكَ بشتمٍ عن أخٍ ... فَهُوَ الشاتِمُ لا مَنْ شَتَمَكْ

ذاكَ شيءٌ لم يواجِهْكَ بِهِ ... إنَّما الذَّنْبُ على مَنْ أعلَمَكْ[٤]

٢٣- الدفاع عن الأخِ في غَيْبَتِهِ:

أمَا لِيَ مِنْ عَذولِكُمُ عَذِيرٌ ... ولا مِنْ جَوْرِ صَدِّكُمُ مُجِيرُ؟![٥]

من مراعاةِ مشاعِرِ الأخِ الدفاعُ عنه بظَهْرِ الغَيْبِ وذِكْرُهُ بأحسنِ ما تَعلَمُهُ عنه.

---

(١) «مَجْمَعُ الأمثالِ» (١/ ٣٠٣).

(٢) «جَمْهَرَةُ الأمثالِ» (٢/ ٢٧٧).

(٣) «الأخلاقُ والسِّيَرُ» (٤٧).

(٤) «جمهرةُ الأمثالِ» (٢/ ٢٧٧).

(٥) «النُّكتُ العصريةُ» (٢٦١).

ففي حديثِ الإفكِ الطويلِ وفيه قالت (أي: عائشةُ) رضي الله عنها: ودعا رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وأسامةَ بنَ زيدٍ حين اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ يسألُهما ويستشيرُهما في فراقِ أهلِه.

قالت: فأمَّا أسامةُ فأشارَ على النبيِّ ﷺ بالذي يَعْلَمُ من براءةِ أهلِه وبالذي يعلمُ لهم في نفسِه؛ فقال أسامةُ: أَهْلَكَ[1] ولا نعلمُ إلا خيرًا، وأمَّا عليٌّ، فقال: يا رسولَ اللهِ لم يُضيِّقِ اللهُ عليكَ والنساءُ سِواها كثيرٌ وسَلِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ»[2].

وقد حَفِظَتْ عائشةُ رضي الله عنها الجميلَ لأسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما.

وعن عتبانَ رضي الله عنه في حديثِه الطويلِ قال: قام النبيُّ ﷺ يُصَلِّي. فقالوا: أينَ مالكُ بنُ الدُّخَيْشِنِ أو ابنُ الدُّخيشِنِ؟، فقال بعضُهم: ذلك مُنافقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «لا تَقُلْ ذلكَ، ألا تراهُ قد قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يريدُ بذلك وَجْهَ اللهِ؟!» قال: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قال: فإنَّا نرى وجْهَهُ ونصيحَتَهُ إلى المنافقين».

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «فإنَّ اللهَ قد حَرَّمَ على النارِ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجْهَ اللهِ»[3].

وعن كَعْبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه في حديثِه الطويلِ في قِصَّةِ توبتِه قال: قال النبيُّ ﷺ وهو جالسٌ في القومِ بتبوكَ: «ما فَعَلَ ابنُ مالكٍ؟ فقال رَجُلٌ من بني سلمةَ: يا رسولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ[4] والنظرُ في عِطْفَيْهِ[5]. فقال له معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه بِئْسَ ما قُلْتَ، واللهِ يا رسولَ اللهِ ما عَلِمْنا عنه

---

(١) أَهْلَكَ: أي: حافظ على أَهْلِكَ.

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٤١٤١).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٤٢٥)، و«مسلمٌ» (٣٣).

(٤) البُرْدُ: كِساءٌ مُخَطَّطٌ يلتحِفُ به.

(٥) والنظرُ في عطفيه: أي مُعْجبًا في نفسه.

إلا خيرًا» فسَكَتَ رسولُ اللهِ ﷺ[(١)].

ومن اللطائفِ: ما جاء في تاريخِ الأندلسِ أنَّ الوزيرَ هاشمَ بنَ عبدِ العزيزِ بَعَثَهُ السُّلْطَانُ محمَّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأمويُّ علىٰ رأسِ جيشٍ، فوقع هذا الوزيرُ أسيرًا في يَدِ العدُوِّ وجرىٰ ذِكْرُهُ يومًا في مجلسِ السلطانِ محمدِ بن عبدِ الرحمنِ، فاستقْصَرَهُ السلطانُ، ونَسَبَهُ للطيشِ والعَجَلَةِ والاستبدادِ بالرأيِ، فلمْ ينطقْ أَحَدُ الحاضرينَ في الاعتذارِ عنه بكلمةٍ، ما عدا صديقَهُ الوليدَ؛ فإنه قال: «أصلَحَ اللهُ الأميرَ، إنه لم يكُنْ علىٰ هاشمٍ التَّخَيُّرُ في الأمورِ، ولا الخروجُ عن المقدورِ، بل قد استعملَ جَهْدَهُ، واستفرَغَ نُصْحَهُ، وقَضَىٰ حَقَّ الإقدامِ، ولم يكنْ مَلاكُ النَّصرِ بيدِهِ، فخَذَلَهُ من وَثِقَ بِهِ، ونَكَلَ عنه من كان مَعَهُ، فلمْ يزحزحْ قدمَهُ عن موطِنِ حفاظِهِ، حتىٰ مُلِكَ مقبلًا غيرَ مُدْبِرٍ، مُلَبِّيًا غيرَ فشِلٍ، فجُوزِيَ خيرًا عن نفسِهِ وسلطانِهِ، فإنه لا طريقَ للملامةِ عليه، وليسَ عليه ما جَنَتْهُ الحَرْبُ الغَشومُ، وأيضًا فإنه ما قَصَدَ أن يجودَ بنفسِهِ إلا رضًا للأميرِ، واجتنابًا لِسَخَطِهِ، فإذا كان ما اعتمدَ فيه الرضا جالبَ التقصيرِ، فذلك معدودٌ في سوءِ الحَظِّ».

فوقع هذا الاعتذارُ من السلطانِ موقعَ الإعجابِ، وشكر للوليدِ وفاءَهُ لهاشِم، وتَرَكَ تفنيدَ هاشمٍ، وسعىٰ في تخليصِهِ، ووصلَ خَبَرُ هذا الاعتذارِ إلىٰ هاشمٍ، فكَتَبَ خطابَ شكرٍ للوليدِ، ومما يقولُ في هذا الخطابِ: «الصديقُ من صدقَكَ في الشِّدَّةِ لا في الرخاءِ، والأخُ من ذَبَّ عنك في الغيبِ لا في المشهَدِ، والوافي من وفىٰ لك إذا خانَكَ زمانُهُ»، ومما جاء في هذا الخطاب من الشِّعْرِ:

أيـا ذاكـري بالغيـبِ في مَحْفَـلٍ بـه ... تَصَامَتَ جَمْعٌ عن جوابٍ به نصري

أتتنـيَ والبيـداءُ بينـي وبينهـا ... رُقَىٰ كلماتٍ خَلَّصَتْني من الأَسْرِ

لـئن قَـرَّبَ اللهُ اللقـاءَ فـإنني ... سأجزيكَ ما لا ينقضي غابِرَ الدهرِ[(٢)]

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٤٤١٨)، و«مسلمٌ» (٢٧٦٩).

(٢) «الصداقةُ بينَ العلماءِ» لمحمدِ بن إبراهيمَ الحَمْدِ (ص٥٢ – ٥٣).

٢٤- تَجنُّبُ الألفاظِ المذمومةِ:

وكائِنْ تَرى من صامتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زيادتُه أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ[(١)]

من مراعاةِ المشاعرِ تَجنُّبُ الألفاظِ المذمومةِ في حَقِّ إخوانِكَ بل في حَقِّ الناسِ كافّةً.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

ذلك أدبٌ ربانيٌّ أدَّبَنا اللهُ به والألفاظُ المذمومةُ جمَّةٌ.

ومن ذلك ما ذكره النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «من الألفاظِ المذمومةِ المستعملةِ في العادةِ: يا حمارُ، يا تَيْسُ، يا كَلْبُ، ونحوُ ذلكَ فهذا قبيحٌ لوجهين: أحدُهما: أنه كذبٌ، والآخرُ: أنَّهُ إيذاءٌ»[(٢)].

إيــاكَ مــن زلـلِ اللسانِ فإنَّمـا عَقْـلُ الفتـى في لفظِـهِ المسموعِ

والمــرءُ يختبـرُ الإنـاءَ بنَقْـرِهِ ليرى الصحيحَ بِهِ من المصدوعِ[(٣)]

٢٥- تجَنُّبُ مقابلةِ الناسِ بما يَكْرَهون:

إذا أنتَ صاحَبْتَ الرجالَ فكُنْ فتًى كأنَّـكَ مملـوكٌ لِكُـلِّ رفيـقِ[(٤)]

من مراعاةِ مشاعِرِ الناسِ تجنُّبُ مقابلتِهم بما يَكرهون وعَدَمُ مواجهَتِهِمْ بالإثمِ.

---

(١) «ديوانُ المعاني» (٦٧).

(٢) «الأذكارُ» (٣٦٥).

(٣) «دواوينُ الشِّعرِ العربيِّ» (٤٢/ ٧٢).

(٤) «الصداقةُ والصديقُ» (٧٣).

وقد كان النبيُّ ﷺ إذا بَلَغَهُ عن الرَّجُلِ الشيءُ لم يَقُلْ: ما بالُ فلانٍ؟، ولكنْ يقولُ: «ما بال أقوامٍ يقولون: كذا وكذا؟»(١).

ومنه قولُهُ ﷺ: «ما بال أقوامٍ يشترطون شروطًا ليست في كتابِ اللهِ»(٢).

وقولُهُ ﷺ: «ما بال دعوىٰ أهْلِ الجاهليَّةِ»(٣).

وقولُهُ ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشيءِ أَصْنَعُهُ»(٤).

وقولُهُ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ يرفعون أبصارَهم إلىٰ السماءِ في الصلاةِ»(٥).

وقولُهُ ﷺ: «ما بال العامِلِ نَبْعَثُهُ»(٦).

وقد دَأَبَ النبيُّ ﷺ علىٰ مراعاةِ مشاعِرِ الناسِ حتىٰ في أشدِّ ما يكونُ من الغَضَبِ فقد جاءَهُ رَجُلٌ فقال له: يا رسولَ اللهِ، إني لأتأخَّر عن الصلاةِ في الفجرِ مما يطيلُ فلانٌ فيها. فَغَضِبَ رسولُ اللهِ ﷺ غَضَبًا شديدًا ثم قال: «يا أيها الناسُ، إنَّ منكم مُنَفِّرِين فأيُّكم ما صلَّىٰ بالنَّاسِ فلْيَتَجَوَّزْ، فإنَّ فيهم المريضَ والكبيرَ وذا الحاجةِ».

وتأمَّلْ إلىٰ مراعاةِ نبيِّ اللهِ يوسُفَ عليه السلام لمشاعِرِ غيرِهِ حتىٰ وهو في أشدِّ ما يُلاقيه من المِحْنَةِ.

---

(١) (صحيحٌ) «أخرجَهُ أبو داود» (٤٧٨٨) عن عائشةَ رضي الله عنها.

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٤٥٦)، و«مسلمٌ» (١٥٠٤) عن عائشةَ رضي الله عنها.

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٣٥١٨)، و«مسلمٌ» (٢٥٨٤) عن جابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما.

(٤) «رواهُ البخاريُّ» (٦١٠١) عن عائشةَ رضي الله عنها و«مسلمٌ» (١٤٠١) عن أنسٍ رضي الله عنه.

(٥) رواهُ البخاريُّ (٧٥٠) عن أنسٍ رضي الله عنه و«مسلمٌ» (٤٢٨) عن جابرِ بْنِ سَمُرةَ رضي الله عنهما.

(٦) «رواهُ البخاريُّ» (٧١٧٤)، و«مسلمٌ» (١٨٣٢) عن أبي حميدٍ الساعِديِّ رضي الله عنه.

قال الله ﷻ حاكيًا عنه: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف: ٥٠].

قال القرطبيُّ رحمه الله: «ذكَرَ النِّساءَ جُملةً لِيُدخِلَ فيهنَّ امرأةَ العزيزِ مَدْخَلَ العمومِ بالتلويحِ، حتىٰ لا يقَعَ عليها تصريحٌ، وذلك حُسْنُ عِشْرةٍ وأدَبٌ وفي الكلامِ محذوفٌ»[1].

وقال الشوكانيُّ رحمه الله: «ذكَرَ السؤالَ عن تقطيعِ الأيدي ولم يذكُرْ مراوَدَتَهُنَّ له تَنزُّهًا منه عن نسبةِ ذلك إليهِنَّ»[2].

أَدَبٌ كمِثْلِ الماءِ لَوْ أفْرَغْتَهُ ... يومًا لَسَالَ كما يَسِيلُ الماءُ[3]

٢٦- تَجنُّبُ الاحتقارِ:

فَلا تَحْتَقِرْ شيئًا تصاغَرْتَ قَدْرَهُ ... فإنَّ حقيرًا قد يَضُرُّ ويَنفَعُ[4]

من مراعاةِ المشاعرِ تجنُّبُ احتقار الناسِ بسببِ كَوْنٍ أوْ خِلْقةٍ كالدمامةِ أو بَلَدٍ، أو نَسَبٍ، أو فَقْرٍ، أو وظيفة، فإنَّ ذلك يخالفُ الأدَبَ الربانيَّ، ويؤلمُ مشاعِرَ المُحْتَقَرِ، ويسبِّبُ العداوةَ والبغضاءَ قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

والسُّخْرِيَةُ والاحتقارُ من أعمالِ الجاهليةِ التي أنكرها رسولُ الله ﷺ فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه

---

(١) «الجامعُ لأحكامِ القرآنِ» (٩/ ١٧٥).

(٢) «فتحُ القديرِ» (٣/ ٤٨).

(٣) «دواوينُ الشِّعْرِ العربيِّ» (١٥/ ٢٩٥).

(٤) «من رحيقِ الشِّعْرِ» (٢٢).

قال: كان بيني وبين رجلٍ كلامٌ، وكانت أُمُّهُ أعجميةً، فنِلتُ منها، فذكرني إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «أسابَبْتَ فلانًا؟» قلتُ: نَعَمْ. قال: «أفَنِلْتَ من أُمِّهِ؟» قلتُ: نعم. قال: «إنك امرؤٌ فيك جاهليَّةٌ»، قلتُ: على حِينِ ساعتي هذهِ من كِبَرِ السِّنِّ؟ قال: «نعم، هم إخوانكم جعَلَهُم اللهُ تحتَ أيديكم، فمَنْ جعَلَ اللهُ أخاه تحتَ يدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مما يأكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ مما يلبسُ، ولا يُكَلِّفُهُ من العملِ ما يَغْلِبُهُ، فإنْ كلَّفَهُ ما يَغلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عليه»[1].

قال المناويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فينبغي للإنسانِ أن لا يَحتقرَ أحدًا فربَّما كان المحتقرُ أطهرَ قلبًا، وأزكى عملًا، وأخلصَ نيَّةً، فإنَّ احتقارَ عبادِ اللهِ يورثُ الخُسرانَ ويورثُ الذُّلَّ والهَوانَ»[2].

واحتقارُ الناسِ من الكِبْرِ فعَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكِبْرُ بطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ الناسِ»[3].

بَطَرُ الحَقِّ يعني رَدَّهُ، وغَمْطُ الناسِ يعني احتقارَهم وازدراءَهم.

لا تَحْقِرَنَّ امرِئًا قد كانَ ذا ضَعَةٍ ... فكم وضيعٍ من الأقوامِ قد رَأَسا

فَرُبَّ قومٍ جَفَوناهُمْ فلَمْ نَرَهُمْ ... أهلًا لخِدْمَتِنا صاروا لنا رُؤَسا[4]

٢٧- تَجَنُّبُ سوءِ الظَّنِّ:

تَظُنُّونَ أنِّي قد تَبَدَّلْتُ بعدَكم ... بديلًا وبَعْضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ[5]

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٦٠٥٠)، و«مسلمٌ» (١٦٦١).

(٢) «فيضُ القدير» (٥/ ٣٨٠).

(٣) «رواهُ مسلمٌ» (٩١).

(٤) «من رحيقِ الشِّعْرِ» (٢١).

(٥) «الإماءُ الشواعرُ» (٧٤).

من مراعاةِ المشاعِرِ أنْ تُحسِنَ الظَّنَّ بأخيك ولا تَظُنَّ بكلمةٍ خَرَجَتْ منه إلا خيرًا وتحمِّلْها محْمَلًا حَسَنًا فإنْ لم تقدرْ علىٰ ذلك فارْجِعْ إليه وسَلْهُ ماذا تَقْصُدُ يا أخي وهكذا كان السَّلَفُ يَفعلون حِرْصًا منهم علىٰ مراعاةِ المشاعِرِ.

قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتبَ إليَّ بعضُ إخواني من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ: «أنْ ضَعْ أمْرَ أخيك علىٰ أحْسَنِهِ ما لم يأْتِكَ ما يَغلِبُكَ، ولا تَظُنَّ بكلمةٍ خرجَتْ من امرئٍ مسلمٍ شرًّا وأنتَ تَجِدُ لها من الخيرِ مَحْمَلًا»[1].

وقال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياك من الكلام ما إن أصبت فيه لم تؤجر وإن أخطأت فيه أثمت وهو سوء الظن بأخيك»[2].

٢٨- تَجنُّبُ الشِّدَّةِ مع المُخالِفِ:

لا تتْـرُكَنْ نُـصْحِي فـإنِّي ناصِـحٌ   إنَّ الطريــقَ فــاعْلَمَنَّ واضِـحٌ[3]

من مراعاةِ المشاعِرِ مع المخالِفِ في الرأيِ أو المنهج ألَّا تُبادِرَ إلىٰ الإنكارِ قبل أنْ تراسِلَهُ لتتأكَّدَ من صِحَّةِ ما بَلَغَك عنه وسؤالِهِ عن قَصْدِهِ فيما بَلَغَك فرُبَّما كان مظلومًا أو دَخَلَ عليه الخَطأُ بسببِ شُبْهَةٍ فتنصَحُ له وتطلُبُ منه بيانَ الصوابِ ويتأكَّدُ ذلك مِمَّنْ يقتدي به وتكونُ بهذا قد سلكْتَ أحسنَ المسالِكِ.

وإنْ أصَرَّ علىٰ الخطإِ ودافَعَ عنه وتَعَصَّبَ له فاكتبْ الرَّدَّ أو سَجِّلْهُ ثم أرسِلْهُ إليه واصْبِرْ عليه مُدَّةً لا تزيدُ عن شَهْرٍ، فإذا لم تَجِدْ جوابًا أو تراجُعًا سِيَّما إذا كان الخَطأُ

---

(١) «الاستذكار» (٨/ ٢٩١).

(٢) «تهذيبُ التهذيبِ لابنِ حَجَرٍ» (١/ ٤٢٥).

(٣) «فجاني الأدبِ» (٣/ ٣٥).

ممَّا لا يُعْذَرُ فيه وكان الرجلُ مِمَّنْ يقتدىٰ به فانْشُرِ الرَّدَّ ليعرفَ الناسُ الحَقَّ بدليلِهِ، وحينها تكونُ قد استخدمتَ الشِّدةَ في محلِّها ومتىٰ عرضتَ رَدَّكَ علىٰ أهْلِ العلمِ الكبارِ قَبْلَ نَشْرِهِ كان ذلك أحْسَنَ الحَسَنِ.

إذا بَلَغَ الرأيُ المشورَةَ فاستَعِنْ ... برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازِمِ
ولا تحْسَبِ الشورى عليك غضاضةً ... فإنَّ الخوافي قوةٌ للقوادِمِ[1]

٢٩- تجنبُ الظُّلْمِ:

الظُّلْمُ يَصْرَعُ أهْلَهُ ... والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ[2]

اجتنابُ ظُلْمِ العبادِ بجميعِ صُوَرِهِ من أعظمِ المراعاةِ لمشاعرِهِم؛ لأنَّ الظلمَ من أشَدِّ الجروحِ وما كان يَجْرَحُ كان البُعْدُ عنه هو المراعاةَ علىٰ الحقيقةِ[3].

ويا للهِ ما أوقَعَ الظلمَ علىٰ النفسِ بل هو أشَدُّ علىٰ النَّفْسِ من وَقْعِ الحُسَامِ المهنَّدِ ولا سَيَّما إذا كان من قريبٍ مقرَّبٍ أو صديقٍ حميمٍ كما قيل.

وظُلْمُ ذوي القُرْبَىٰ أشَدُّ مَضَاضَةً ... على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

وكلَّما اشتدَّ الظُّلْمُ اشتدَّتِ الجروحُ حتىٰ تأخُذَ بِلُبِّ صاحِبِها وتَذْهَبَ به كُلَّ مَذْهَبٍ كما قيل.

وقالوا: قد جُنِنْتَ، فقلتُ: كَلَّا ... وربِّي ما جُنِنْتُ، ولا انتَشَيْتُ[4]

---

(١) «أمالِيُّ القالي» (٢/ ٢٨٧).

(٢) «أشعارُ أولادِ الخلفاءِ» (٢٩٨).

(٣) انظر كتابي «جَرْحَ المشاعرِ» ففيه ما يكفي وَيَشْفِي - إنْ شاءَ اللهُ -.

(٤) انتشى: سَكَرَ، يُريدُ: ولا بكيتُ من سُكْرٍ.

ولكنـي ظُلِمْـتُ؛ فكِـدْتُ أبْكِـي مِـنَ الظُّلْـمِ المبَـرِّحِ[١]، أو بكيْـتُ

والظلمُ مُحَرَّمٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ[٢].

قال اللهُ ﷻ بعد ذكرِ جملةٍ من الأحكامِ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَحاسَدوا، ولا تناجَشُوا[٤]، ولا تباغَضُوا، ولا تَدابروا[٥] ولا يَبِعْ بعضُكم علىٰ بيعِ بَعْضٍ، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا؛ المسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُهُ، ولا يَخذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التقوىٰ ها هُنا - ويشيرُ إلىٰ صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المسلمَ، كُلُّ المسلمِ علىٰ المسلم حرامٌ دَمُهُ، ومالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[٦].

---

(١) المبرِّح - بكسر الراء المشددة -: الشديدُ الشّاق.

(٢) انظر: «الكبائر» للذهبي (١٠٤).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٢٤٤٧)، من حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وأخرجهُ مسلمٌ (٢٥٧٨) عن جابرٍ رضي الله عنه.

(٤) التناجُشُ: تفاعلٌ من النجْشِ، وهو أنْ يزيدَ الرجلُ في ثمنِ السلعةِ، وهو لا يريدُ شراءَها، ولكن ليَسْمَعَهُ غيرُهُ، فيزيدَ بزيادتهِ.

(٥) التدابرُ: التقاطعُ والهجران، مأخوذٌ من أنْ يُولِيَ الرَّجُلُ صاحِبَهُ: دُبُرهُ وقفاهُ، ويعرِضُ عنه بوجههِ ويهجرهُ.

(٦) «رواهُ مسلمٌ» (٢٥٦٤).

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان المؤمنون إخوةً، أُمِرُوا فيما بينهم بما يُوجبُ تألُّفَ القُلُوبِ واجتماعَهَا، ونُهُوا عمَّا يُوجِبُ تنافرَ القُلُوبِ واختلافَهَا»[١].

وهذا قطرةٌ من مطرةٍ وإلا فقد ذكرَ اللهُ ﷻ الظُّلْمَ في كتابِهِ الكريم في مائةٍ وتسعين موطنًا، وأما السُّنَّةُ فنحتاج إلىٰ سِفْرٍ من الأسفَارِ لولا الإملالُ والإثقالُ وحَسْبُ الرَّجُلِ من القِلادةِ ما أحاطَ بالعُنُقِ[٢] ودعوةُ المظلومِ تفتِكُ بالظالِمِ فتكًا عظيمًا فطوبىٰ لمن توقَّىٰ دعوةَ المظلومِ بتركِ الظلمِ ولو بأخذِ عودٍ من آراكٍ لا يَحِلُّ لَهُ، ففي «الصحيحين» من حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«واتَّقِ دعوةَ المظلومِ؛ فإنَّه ليسَ بينها وبينَ اللهِ حِجَابٌ»**[٣].

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تحتقرْ دُعاءَ المظلومِ؛ فَشَرَرُ قَلْبِهِ محمُولٌ بعجيجِ صوتِهِ إلىٰ سَقْفِ بيتِكَ»[٤].

وللهِ دَرُّ القائِلِ:

لا تظلمَنَّ إذا ما كُنْتَ مقتدرًا ... فالظُّلمُ يرجعُ عُقْبَاهُ إلى الندمِ

تنامُ عَيْنَاكَ والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

٣٠- العَدْلُ:

وأُمَّةٌ كان قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُها ... دَهْرًا فأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرضيها[٥]

---

(١) «جامعُ العلومِ والحِكَمِ» (١/ ٣٣٦).

(٢) انظرْ: كتابي «ظلماتِ الظُّلْمِ» ففيه ما يملأُ الصدرَ والنحرَ - إن شاءَ اللهُ -.

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (١٤٩٦)، و«مسلمٌ» (١٩) واللفظُ له.

(٤) «بدائعُ الفوائدِ» (٣/ ٧٦٢).

(٥) «أبو الطيبِ المتنبي ما لَهُ وما عليهِ» (٥٧).

من مراعاةِ المشاعِرِ العَدْلُ مع الصديقِ والعَدُوِّ في الرِّضا والغَضَبِ.

لأنَّ العَدْلَ سببٌ عظيمٌ لمراعاةِ مشاعِرِ الناسِ وأحاسيسِهم فالأبُ إذا عَدَلَ بين الأولادِ حتىٰ في القُبَلِ ينشأُ الأولادُ بررةً، والزوجاتُ إذا شَعَرْنَ أنَّ زوجَهُنَّ يعدِلُ بين الجميعِ في كُلِّ شيءٍ يكونُ فيه العَدْلُ أصبحَ عندَهُنَّ مَلِكًا مطاعًا، والمعلمُ متىٰ لَاحَظَ طلابُهُ العَدْلَ مع الجميعِ كان ذلك سببًا لمضاعفَةِ احترامِهم وتقديرِهم وحُبِّهم له وحَصَلَ التنافُسُ الشريفُ في كَسْبِ وُدِّهِ مع الإخلاصِ في طَلَبِ العلمِ، وكذلك من لَهُ ولايةٌ علىٰ غيرِهِ متىٰ عَدَلَ فقد بنىٰ حكمَهُ علىٰ أساسٍ متينٍ، وأيُّ أساسٍ للحُكْمِ خيرٌ من العَدْلِ بل العَدْلُ أساسُ الحُكْمِ.

وما عند اللهِ خَيرٌ وأبقىٰ للذين يعدلون في حكمِهم وأهلِهم وما وُلُّوا، فعن عبدِ اللهِ بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إن المُقْسِطين عندَ اللهِ علىٰ منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ - وكِلْتَا يديْه يمينٌ -: الذين يعدِلون في حكمِهم وأهلِهم وما وُلُّوا»[1].

إنــا إذا مالَــتْ دواعــي الهَــوَىٰ ... وأنْــصَتَ الــسامِعُ للقائــلِ
واضْــطَرَبَ القَــومُ بأَحْــسَابِهم ... نقْــضِي بحَــقٍّ عــادِلٍ فاصِــلِ[2]

٣١- رَدُّ الشُّبَهِ أو التُّهَمِ:

وللجهالَــةِ عــدوى يَنْتَــشِرُ بهــا ... ذو العَقْلِ إنْ لم يُجَانِبْ موضِعَ التُّهَمِ[3]

---

(١) «رواهُ مُسْلِمٌ» (١٨٢٧).

(٢) «الزهرة» (١٩١).

(٣) «الإبانةُ عن سرقاتِ المتنبي لفظًا ومعنىً» (٦٩).

علىٰ المرءِ أن يراعِيَ مشاعِرَ إخوانِهِ بدفعِ الشُّبَهِ التي يُمْكِنُ للشيطانِ أنْ يُلْقِيَها في قلوبِهِم فيُوَضِّحُ لهم موقِفَهُ أو يُبَيِّنُ لهم قصْدَهُ من بابِ «إنَّها صَفِيَّةُ».

فعن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ زَوجِ النبيِّ ﷺ أنها جاءَتْ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ تزورُهُ في اعتكافِهِ في المَسْجِدِ في العَشْرِ الأواخِرِ من رمضانَ، فتحدَّثَتْ عنده ساعةً ثم قامَتْ تَنْقَلِبُ فقامَ النبيُّ ﷺ يَقْلِبُها[1]، حتىٰ إذا بلغَتْ بابَ المسجِدِ عند باب أُمِّ سَلَمَةَ مرَّ رَجُلانِ من الأنصارِ فسَلَّما علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فقال لهما: «علىٰ رِسْلِكُما إنما هي صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ».

فقالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ، وكَبُرَ عليهما، فقال النبيُّ ﷺ إنَّ الشيطانَ يَبْلُغُ من ابنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قلوبِكما شيئًا»[2].

تَـوَهَّمَ القَـومُ أنَّ العَجْـزَ قَرَّبنـا ... وفي التقَرُّبِ ما يدعو إلى التُّهَمِ
ولـم تـزَلْ قِلَّـةُ الإنـصافِ قاطعـةً ... بين الرِّجالِ وإن كانوا ذوي رَحِمِ[3]

٣٢- تَطْيِيبُ خاطِرِ مَنْ وَقَعَ الحكمُ عليه:

لا يُطْبَعـونَ ولا تُـرى أخلاقُهـم ... إلَّا تطيـبُ كمـا يَطِيـبُ العَنْبَـرُ[4]

إذا قضيتَ بين اثنينِ وخَرَجَ الحكمُ لأحَدِهما دونَ الآخَرِ فراعِ مشاعِرَ الآخَرِ بكلمةٍ طيِّبَةٍ.

---

(١) يقلبها: يُرْجِعُها.

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٠٣٥)، و«مسلم» (٢١٧٥).

(٣) «شَرْحُ معاني شِعْرِ المتنبي» (٢/ ١٧).

(٤) «حماسةُ القُرَشِيِّ» (٣٥٠).

وتأمَّل إلى الكلماتِ الطيبةِ والثَّناءِ العَطِرِ ومراعاةِ المشاعِرِ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ الثلاثةِ الكرامِ لما قَضَى بينهم في شأنِ ابنةِ حَمْزَةَ.

فعن البراءِ رضي الله عنه قال: لما اعْتَمَرَ النبيُّ ﷺ في ذي القعدةِ فذكرَ الحديثَ، وفيه: فخرَجَ النبيُّ ﷺ فتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنادي: يا عَمِّ يا عَمِّ، فتناولَها عليٌّ فأَخَذَ بيدِها وقال لفاطمةَ: دونَكِ ابنةَ عَمِّكِ حمِّليها، فاخْتَصَم فيها عليٌّ وزيدٌ وجَعْفَرٌ.

قال عليٌّ: أنا أَخَذْتُها وهي بنتُ عَمِّي!

وقال جَعْفَرٌ: ابنةُ عَمِّي وخالَتُها تحتي!

وقال زيدٌ: ابنةُ أخي!

فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالَتِها وقال: «**الخالةُ بمنزلةِ الأُمِّ**».

وقال ﷺ لعليٍّ: «**أنت مني وأنا مِنْكَ**»!!

وقال ﷺ لجعفرَ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي**»!!

وقال ﷺ لزيدٍ: «**أنتَ أخونا ومولانا**»[1]!

مِـــن مَعشَرٍ سَنَّتْ لهم آباؤهم ... ولِكُلِّ قـــومٍ سُـــنَّةٌ وإمامُهـــا

فـــاقنعْ بمـــا قَـــسَمَ المليـــكُ فإنَّمـــا ... قَـــسَمَ الخلائِـــقَ بيننـــا عَلَّامُهـــا[2]

٣٣- الاعتذارُ عند الخَطأِ:

ليـــتَ شِـــعري بِـــمَ اعتـــذار مُحِـــبٍّ ... قـــد بـــدا مِنْـــهُ مـــا يـــسوءُ الحبيبـــا[3]

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٤٢٥١).

(٢) «أشعارُ الشعراءِ الجاهلينَ» (١٠٨).

(٣) «دواوينُ الشِّعرِ العربيِّ» (٣٥/ ٤٣٤).

إذا طَلَبَ إليكَ أخوكَ أمْرًا تراهُ ليسَ لَهُ بأهْلٍ أو مُتعَذِّرًا فتخلَّصْ منه باعتذارٍ بالغٍ يُراعي مشاعِرَهُ.

فعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «**عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ فرأيْتُ النبيَّ ومَعَهُ الرَّهيطُ، والنبيَّ ومعه الرَّجُلُ والرَّجُلانِ والنبيَّ وليسَ مَعَهُ أحَدٌ إذْ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ فظنَنْتُ أنهم أُمّتي فقيلَ لي: هذا موسىٰ ﷺ وقومُهُ ولكنْ انْظُرْ إلىٰ الأُفُقِ الآخَرِ، فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيلَ لي: هذِهِ أُمَّتُكَ ومعهم سبعون ألْفًا يدخُلون الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عذابٍ.** ثم نَهَضَ فدخَلَ منزِلَهُ فخاضَ الناسُ في أولئك الذين يدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ فقال بعضُهم: فَلَعَلَّهم الذين صَحِبوا رسولَ اللهِ ﷺ وقال بعضُهم: فلَعَلَّهم الذين وُلِدوا في الإسلامِ ولم يُشْرِكوا باللهِ وذكروا أشياءَ فخَرَجَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟** فأخبروه. فقال: **هم الذين لا يُرْقون ولا يَسْتَرْقون ولا يَتَطَيَّرون وعلىٰ ربِّهم يتوكَّلون.** فقام عُكاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فقال: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعلَني منهم. فقال: **أنتَ منهم.** ثم قامَ رجلٌ آخرُ فقال: ادْعُ اللهَ أنْ يجعلني منهم.

فقال: **سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ**»[١].

قال القاضي عياضٌ رحمه الله: «قيل: إنَّ الرَّجُلَ الثاني لم يَكُنْ مِمَّنْ يستَحِقُّ تلكَ المنزِلَةَ ولا كان بِصِفَةِ أهْلِها بخلافِ عكاشةَ، وقيل: بلْ كان منافقًا فأجابَهُ النبيُّ ﷺ بكلامٍ مُحتمِلٍ، ولم يَرَ ﷺ التصريحَ له بأنَّكَ لَسْتَ منهم لما كان ﷺ عليه من حُسْنِ العِشْرَةِ»[٢][٣].

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٥٣٧٨)، و«مسلمٌ» (٢٢٠).

(٢) «شَرْحُ النَّوويِّ علىٰ مُسْلِمٍ» (١/ ٣٦١).

(٣) انظرْ غيرَ مأمورٍ كتابي «الاعتذارُ فَنٌّ وذوقٌ» ففيه ما يَكْفِي ويَشْفِي إنْ شاءَ اللهُ.

فإيَّاكَ والأمرَ الذي إن توسَّعَتْ ... مواردُهُ ضاقَتْ عليكَ المصادِرُ

فما حَسَنٌ أنْ يَعْذُرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وليسَ لهُ من سائِرِ الناسِ عاذِرُ[(١)]

٣٤- قَبُولُ العُذْرِ لأوَّلِ وَهْلَةٍ:

اقْبَلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ معتذرًا ... إنْ برَّ عندكَ فيما قالَ أو فَجَرا[(٢)]

إذا اعتذرَ إليكَ أخوكَ عن خطإٍ حَصَلَ منه أو تَقْصيرٍ أو عَدَمِ إجابةِ دعوةٍ وجَّهْتَها إليه أو نحوِ ذلكَ فليسُ من مراعاةِ المشاعِرِ أنْ تُلحَّ عليه أو تعاتِبَهُ أو تماطِلَ في قبولِ عُذْرِهِ أو تَردَّ عليه اعتذارَهُ، بل مراعاةُ المشاعِرِ أنْ تَقْبَلَ عُذْرَهُ لأوَّلِ وهلةٍ يَطْرُقُ سَمْعَكَ اعتذارُهُ فيها فهذا يورثُكَ المهابةَ والمحبَّةَ، وكرامُ الناسِ يراعون هذا الحَقَّ.

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أساءَ إليكَ ثم جاء يعتذرُ عن إساءَتِهِ، فإنَّ التواضُعَ يُوجِبُ عليك قَبُولَ معذرتِهِ - حقًّا كان أو باطلًا - وتَكِلُ سريرتَه إلى اللهِ»[(٣)].

وقال - أيضًا -: «وعلامةُ الكَرَمِ والتواضُعِ أنَّكَ إذا رأَيْتَ الخَلَلَ في عُذْرِهِ لا توقِفْهُ عليه، ولا تحاجُّهُ، وقُلْ: يمكِنُ أنْ يكونَ الأمرُ كما تقولُ»[(٤)].

ومن جميلِ ما قيلَ في قَبولِ العُذْرِ:

فيا هارِبًا من سُخْطِنا مُتَنَصِّلًا ... هربْتَ إلى أنجى مَفرٍّ ومَهربِ

فعذرُكَ مَبْسوطٌ لدينا مُقَدَّمٌ ... ووُدُّكَ مقبولٌ بأهلٍ ومَرْحَبِ[(٥)]

---

(١) تسهيلُ النظرِ وتعجيلُ الظَّفَرِ في أخلاقِ المَلِكِ (١٣٤) للماوردي.
(٢) «الكَشْكولُ» (٢/ ٧٧).
(٣) «تهذيبُ مدارجِ السالكينَ» (٤٣٣).
(٤) «المَرْجِعُ السابقُ» (٤٣٣).
(٥) «دواوينُ الشِّعْرِ العربيِّ» (٧٥/ ٤٨٢).

٣٥- السَّتْرُ على الناسِ:

والسَّــتْرُ دُونَ الفاحــشاتِ ولا ... يلقــاكَ دون الخَيْـرِ مـن سَـتْرِ [(١)]

من مراعاةِ مشاعرِ الناسِ السَّتْرُ عليهم مُطلَقًا حتىٰ السَّتْرُ علىٰ مُرْتكِبِ الكبيرةِ المُوجِبَةِ لِلْحَدِّ قبلَ الرفعِ إلىٰ الحاكِمِ [(٢)] عدا المُجاهِرِ [(٣)] لقول اللهِ - سبحانَهُ -: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٤٨].

فكُلُّ ما كان سيئًا من القَولِ فالجَهْرُ به لا يُحِبُّهُ اللهُ، فإذا أذْنَبَ العبدُ أو ارتكَبَ ذنبًا كأنْ قَتَل نفسًا بغيرِ حَقٍّ أو زَنا أو سَرَق، فبابُ التوبةِ مفتوحٌ للعَبْدِ؛ لقولِهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ الليلِ، حتىٰ تطلُعَ الشَّمْسُ من مغرِبِها**» [(٤)].

واللهُ ﷻ: «سِتِّيرٌ» يُحِبُّ السَّتْرَ والصَّوْنَ علىٰ عبادِهِ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحياءَ والسَّتْرَ...**» [(٥)].

---

(١) «التَّمثِيلُ والمُحاضَرةُ» (٤٧).

(٢) جاء في «الموسوعةِ الفقهيةِ الكويتيَّةِ (٢٤/ ١٦٩): «أجمعَ العُلَماءُ علىٰ أنَّ من اطَّلَع علىٰ عيبٍ أو ذنبٍ أو فُجُورٍ لمؤمنٍ من ذوي الهيئاتِ أو نحوِهِم مِمَّنْ لم يعرفْ بالشَّرِّ والأذىٰ ولم يشتهِرْ بالفسادِ، ولم يكنْ داعيًا إليه، كأنْ يَشْرَبَ مُسْكرًا أو يزنِيَ أو يَفْجُرَ مُتَخَوِّفًا مُتخفيًا غيرَ مُتَهَتِّكٍ ولا مجاهِرٍ يُنْدَبُ لَهُ أنْ يَسْتُرَهُ، ولا يَكْشِفَهُ للعامَّةِ أو الخاصَّةِ، ولا للحاكِمِ أو غيرِ الحاكِمِ».

(٣) المجاهِرُ والمُتَهَتِّكُ فيُسْتحَبُّ ألَّا يَسْتُرَ عليه، بل يُظْهِرُ حالَهُ للنَّاس حتىٰ يَجْتَنِبُوهُ، بل ينبغي رفْعُهُ أمْرَهُ للقاضي حتىٰ يقيمَ عليه ما يستحِقُّهُ (الآداب الشرعية) لابن مفلح (١/ ٢٦١).

(٤) «رواهُ مسلمٌ» (٢٧٥٩).

(٥) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (١٧٩٩٩)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (١٧٥٦).

قال السيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تاركٌ للقبائحِ ساترٌ للعيوبِ والفضائحِ»(١).

وقد رَغَّبَ رسولُ اللهِ ﷺ في السَّترِ على المسلمِ، فقال: «مَنْ سَتَرَ مسلمًا سترَهُ اللهُ يومَ القيامةِ»(٢).

فما أعظَمهُ من عملٍ يسيرٍ وأجرٍ عظيمٍ لا يُوَفَّقُ إليه إلا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

إذا ستَرَ النَّاسُ عنكَ الأمورَ ... فلا تَكُ عن أمْرِهِمْ ذا تَقَصّ(٣)

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد – حفظه الله –:

سَتْرُ العيوبِ فضيلةٌ من طَبْعِهِ ... وكأنَّهُ لِذَوِي العُيُوبِ حِجابُ

سِيانِ فيها علمُهُ أو جَهْلُهُ ... ويكادُ يُوهِمُ أنَّهنَّ صوابُ

كرمًا وخوفًا أن تشيعَ رذائلٌ ... فيحومَ حولَ المُنْتناتِ ذُبابُ

٣٦- تَجنُّبِ الإثقالَ على غيرِكَ بالحديثِ:

أمَّا الكلامُ فقد مَلَكْتَ زِمَامَهُ ... نوعًا فنوعًا فانْفرِدْ بلوائِهِ(٤)

النَّاسُ لهم أشْغالٌ وأعمالٌ وقديمًا قِيلَ: «المشغولُ لا يُشْغَلُ».

فيَحْسُنُ مراعاةُ مشاعرِ الآخرين في أوقاتِهم فمتى احتجْتَ لزيارةِ أخيكَ في بيتِهِ أو مَقَرِّ عَمَلِهِ فاستأذِنْ منه عن طريقِ المهاتفةِ وقُلْ له: أوَدُّ زيارتَكَ فما الوقتُ المناسِبُ

---

(١) «شَرْحُ سُنَنِ ابنِ ماجة» (١/ ٢٧٥).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٤٦٧٧).

(٣) «ديوانُ أبي العَلاءِ» (٨٧٢).

(٤) «الحلةُ السيراءُ» لابنِ الأبارِ (٢/ ٢٠٨).

للزيارةِ؟؟ وقد تلتقي بطبيب أو شيخ عِلْم في شارع فاعلمْ أنَّ الشارعَ لم يَكُنْ عيادةً أو مسجدًا ولكنْ اطلُبْ رقمَهُ وقلْ له: أَوَدُّ استشارتَكَ أو عندي سؤالٌ فمتىٰ يكونُ الوقتُ مُناسِبًا للاستشارةِ أو السؤالِ إلا إذا طَلَبَ منك عَرْضَ السؤالِ أو الاستشارةِ، فاطرحْ ذلك عليه ولا تُكْثِرْ من الأسئلةِ فربَّما تأذَّىٰ المسؤول كما خَبِرْنا وبَلَوْنا وإذا كنتَ في العيادةِ فلا تكثرْ من الأسئلةِ والجلوسِ مع الطبيب وكأنَّكَ في مدرسةٍ فربَّما تأذَّىٰ بذلك الطبيبُ وتأذَّىٰ من هو في صالةِ الانتظارِ وكذلك إذا كنتَ في حلقةِ العلماءِ في المساجِدِ أو المجالسِ العلميةِ أو في الجامعةِ فلا تستأثره بالوقتِ دونَ غيرِك إلا إذا كان السؤالُ عامًّا يستفيدُ منه الجميعُ.

وعند مهاتفةِ غيرِك لا يَحْسُنُ الإطالةُ؛ فالناسُ قد يتذمَّرون منك ويَسْتَثْقِلونَك فكان تَرْكُ الإطالَةِ أمْحَض في التكرمِ وأبْرأ من الدَّنَسِ إلا إذا كان الطَّرَفُ الآخَرُ يشتهي حديثَكَ ويرغَبُ فيه فلا بأْس. وليكُنْ كلامُكَ مفيدًا سديدًا.

تَكَلَّمْ وسَدِّدْ ما استطعْتَ فإنَّما ... كلامُكَ حَيٌّ والسُّكوتُ جَمادُ

فإنْ لَمْ تَجِدْ قولًا سديدًا تقولُهُ ... فصَمْتُكَ عن غيرِ السَّديدِ سَدادُ[1]

٣٧- اكْسُ صراحتَكَ ما يَزِينُها:

إنَّ الصراحةَ طبعُهُ لكنَّهُ ... يَتَجَنَّبُ التَّجريحَ بالتَّصْريحِ[2]

الصراحَةُ متىٰ اسْتُخْدِمَتْ معها الكلماتُ الطيبةُ الحانيةُ التي تفي بالغَرَضِ كانت بلْسمًا للكُلُومِ وشفاءً للجروحِ.

---

(١) «الكَشْكُول» (١/ ١١٢).

(٢) قالهُ أستاذُنا الكريمُ عبدُ الكريمِ العِمادُ - حَفِظَهُ اللهُ -.

فعليك أنْ تختارَ أجْمَلَ العبارةِ في التعبيرِ عن صراحتِكَ لأخيك ومتىٰ صارحَك أخٌ لك فاقْبَلْ ذلك بسَعَةِ صَدْرٍ واسْتعمِلْ حُسْنَ الظَّنِّ فتحملِ الكلامَ علىٰ أحسَنِ المحامِلِ.

ولنا في رسولِ اللهِ ﷺ أسوةٌ فعند بيعةِ العقبةِ وقَبْلَ أنْ تَتِمَّ البيعةُ قامَ أبو الهيثمِ ابنُ التيهانِ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ اللهِ إن بيننا وبينَ القومِ حبالًا (يعني اليهودَ) وإنا قاطعوها، فهلْ عسيتَ إنْ فعلْنا ذلك ثم أظْهَرَكَ اللهُ أنْ تَرْجِعَ إلىٰ قومِك وتَدَعَنا؟

عندئذٍ أجابهُ الرسولُ ﷺ وهو يَتَبَسَّمُ: «**بل الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الهَدْمُ، أنا منكم وأنتم مني أُحارِبُ مَنْ حاربتم وأُسالِمُ مَنْ سالَمْتُم**»[(١)].

فلم نَجِدْ منه ﷺ غَضَبًا أو تَبَرُّمًا أو انفعالًا أو إنكارًا علىٰ هذا الرجلِ بسَبَبِ صراحَتِهِ، إنما وَجَدْنا تعظيمًا لهذا الخُلُقِ في نَفْسِ هذا الرجُلِ والأمَّةِ من ورائِهِ، وحين صلَّىٰ بهِمْ رسولُ اللهِ ﷺ صلاةً رباعيَّةً ركعتَين قال له ذو اليَدَينِ بكُلِّ أدَبٍ وتوقيرٍ واحترامٍ وصراحَةٍ - أيضًا -: يا نبيَّ اللهِ أقَصُرَتِ الصلاةُ أمْ نَسِيتَ»؟

فقال ﷺ: «**لم أَنْسَ ولم تُقْصَرْ**».

عندئذٍ أجابَ الصحابةُ رضي الله عنهم بكُلِّ صراحةٍ: بل نسيتَ يا رسولَ اللهِ»[(٢)].

فلم يُعَنِّفْهمْ رسولُ اللهِ ﷺ ولَمْ يَعْتَبْ عليهم ولم يَسْتَشْعِرْ حَرَجًا فأكْمَلَ الصلاةَ وسَجَدَ للسَّهوِ.

---

(١) (صحيحٌ) أخرَجَهُ أحمدُ (١٥٨٣٦) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «فِقْهِ السيرة» (١٤٦) والأرناؤوطُ في تعليقِهِ علىٰ المُسْنَد، وقال: إسنادُهُ قويٌّ، وهذا إسنادٌ حسنٌ.

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (١٢٤٩).

وأنا أحذرك الكلمة الجارحةَ في الصراحةِ فإنَّها كما يقالُ كطرقك للمسمار في الخَشَبِ والاعتذارُ عنها كَنَزْعِكَ ذلكَ المسمارَ.

لكن تأمل إلىٰ تلك الحفرة التي أحْدَثَها مسمارُكَ أنها ما زالت باقية، فكذلك القلوبُ لن تعود صافية عن الحقد والبُغْضِ كما كانت قبل أن تتجرع جروحك إلا أن يشاء الله.

ولله در القائل:

ولـرُبَّ تعـريضٍ لَـدَيك نجاحُـه ... جاءَتـه تـصريحُ الغمـامِ الهاطِـلِ[١]

٣٨- التَّهْنِئَةُ والتبشيرُ:

صُـبْحُ الهَنَـا اليـومَ تَجَلَّـى أَبْيَـضَا ... وبـالمُنَى رَبْـعُ التهـاني رَوَّضَـا[٢]

من مراعاةِ المشاعِرِ التهنئةُ والتبشيرُ؛ فالنَّفْسُ تَتَعَرَّضُ لضغوطاتٍ في الحياةِ كالذَّنْبِ يوجِبُ مَقْتَ الناسِ وهَجْرَهُمْ وتأنيبِ الضميرِ الذي يُسَبِّبُ الصراعَ مع النفسِ فإذا تابَ وأقلعَ فيأتي إخوانُهُ مهنِّئين له.

فإِنَّهُ لَمَّا تابَ اللهُ ﷻ علىٰ كَعْبِ بنِ مالكٍ ﷺ بعدما تَخَلَّفَ عن تبوكَ؛ دَخَلَ المَسْجِدَ مُسْتَبْشِرًا فقامَ إليه طَلْحَةُ يُهَرْوِلُ، ثم احْتَضَنَهُ قال كَعْبٌ: «لا أَنْسَاهُ لِطَلْحَةَ»[٣].

وقُلْ مِثْلَ ذلك في التهنئةِ بزواجٍ أو صفقةٍ أو السلامةِ من حادِثٍ مُرَوِّعٍ أو نجاحٍ أو تهنئةٍ في العيدين، فإنَّ الأخَ الذي أرسلتَ له التهنئةَ قلَّما ينسىٰ لك ذلك.

---

(١) «ديوانُ السَّرِيِّ الرَّفَّاءِ» (٦٧٦).

(٢) «العِقْدُ المُفَصَّلُ» (١٥٦).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٢٧٥٧).

هـــذي تحيـــاتي إلـــيكم لُطِّفَـــتْ فيهـــا العظـــاتُ بخالـــصاتِ تهـــاني
مِـسْكُ الختـامِ بهـا دعـاءٌ خـالصٌ لكُـمُ بعـيشٍ رَفاهَـةٍ وأَمــانِ[1]

٣٩- تَجَنُّبِ النصيحةَ في المَلأ:

مَحَضْتُكمو يـا أَهْـلَ مِـصْرَ نـصيحةً أَلا فَخُـذُوا مِـن ناصِـحٍ بنَـصِيبِ[2]

النصيحةُ لا تكونُ نصيحةً بالغةً حتىٰ تُراعيَ مشاعِرَ من تَنْصَحُهُ وعلىٰ هذا مضىٰ السَّلَفُ الأبْرارُ.

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ وَعَظَ أخاه سِرًّا فقد نَصَحَهُ وزانَهُ، ومن وَعَظَهُ علانيةً فقد فَضَحَهُ وشانَهُ»[3].

وقال يحيىٰ بنُ معينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ علىٰ رجلٍ خطأً إلا سَتَرْتُهُ، وأحبَبْتُ أنْ أَزِينَ أمْرَهُ، وما استقبلْتُ رجُلًا في وجْهِهِ بِأَمْرٍ يكرهُهُ، ولكنْ أُبَيِّنُ له خطأَهُ، فيما بيني وبينَه، فإنْ قَبِلَ ذلك وإلا تركْتُهُ»[4].

وقال ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا نَصَحْتَ فانْصَحْ سرًّا لا جَهْرًا، وبتعريضٍ لا تصريحٍ، إلا أنْ لا يَفْهَمَ المنصوحُ تعريضَكَ فلا بُدَّ من التصريحِ»[5].

---

(١) «دواوينُ الشِّعْرِ العربيِّ» (٤٥/ ٣٧٧).
(٢) «أخبارُ أبي نُوَاسٍ» (٤).
(٣) «حِلْيَةُ الأولياءِ» (٩/ ١٤٠).
(٤) «سِيَرُ أعلامِ النُّبلاءِ» (١١/ ٨٣).
(٥) «الأخلاقُ والسِّيَرُ» (٤٤).

ومما يُنسبُ للشافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ قولُهُ:

تعمَّدْني بِنُصْحِكَ في انفرادي ... وجنِّبْني النصيحةَ في الجماعةْ

فإنَّ النصْحَ بينَ الناسِ نَوْعٌ ... منَ التوبيخِ لا أَرْضى استماعَهْ

فإنْ خالَفتني وعَصَيْتَ قولي ... فلا تجزَعْ إذا لَمْ تُعْطَ طاعَةْ[1]

وقال آخر:

لا تَقْطِفِ الوردَ الجميلَ بِمنجَلٍ ... فالوَرْدُ لا يُؤْتَى بهِ مَقْتولا

إنْ كُنْتَ تُبدي للصديقِ نصيحةً ... فاجعلْ له لُطْفَ الحديثِ رسولا

٤٠- تَجَنُّبِ الإنكارَ قَبْلَ الاستفهامِ:

عَجِلْتَ ولم تَسْأَلْ وأنكَرْتَ غاضبًا ... فكانَ الذي أنكرتَهُ غيرَ مُنْكَرِ[2]

من مراعاةِ المشاعرِ أنَّه متىٰ قامَ معلِّمُكَ أو أَهْلُ الفَضْلِ بِتَصَرُّفٍ يستوجِبُ الإنكارَ عليه فَقَبْلَ أنْ تُنْكِرَ عليه سَلْهُ وقُلْ لَهُ: ماذا أَرَدْتَ بهذا أو ماذا أَرَدْتَ فيما بَلَغَني عنكَ فربَّما وقَفَكَ علىٰ فوائِدَ لم تَقِفْ عليها من قبلُ سيَّما إذا كان من أهلِ الفضلِ والعلمِ.

وتأمَّلْ إلىٰ حوارِ موسىٰ للخَضِرِ - عليهما السلامُ - فإنَّ الخَضِرَ لما خَرَقَ السَّفينةَ قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١﴾ [الكهف: ٧١].

ثم لما قَتَلَ الغُلامَ قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٤﴾ [الكهف: ٧٤].

---

(١) «ديوانُ الشافعيِّ» (٦٣).

(٢) قالَهُ أستاذُنا عبدُ الكريمِ العمادُ - حَفِظَهُ اللهُ -.

وفي قصةِ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما غابَ الهُدْهُدُ قال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١].

وعن بريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ صلىٰ الصلواتِ يومَ الفتحِ بوضوءٍ واحدٍ ومَسَحَ علىٰ خُفَّيْهِ فقال له عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقد صَنَعْتَ اليومَ شيئًا لم تَكُنْ تصنَعُهُ، قال: «عَمْدًا صنعته يا عُمَرُ»[1].

فنستفيدُ من تلك المواقِفِ أَنْ نستَفْهِمَ قبلَ الإنكارِ فإنَّ في ذلك من مراعاةِ المشاعِرِ ما لا يَخْفَىٰ.

واعلمْ - وفَّقني اللهُ وإياكَ لهُداهُ - أنَّ الإنكارَ قَبْلَ الاستفهامِ لا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ من عَوامِّ الناسِ فَضْلًا عن أهْلِ الفَضْلِ والدِّينِ والمروءةِ الحَقَّةِ.

ومن طريفِ ما يُذْكر في الإنكارِ قَبْلَ الاستفهامِ ما ذَكَرَهُ أبو كَامِلِ البَصْرِيُّ قال: سَمِعْتُ بَعْضَ مشايخي يَقُولُ: كُنَّا فِي مَجْلِس ابْنِ خَنْبٍ، فأملَىٰ في فَضَائِلِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أنْ كَانَ أَمْلَىٰ فَضَائِلَ الثَّلاثَةِ؛ إذْ قَامَ أبو الفَضْلِ السُّلَيْمَانِيُّ، وصاحَ: أَيُّها النَّاسُ، هذا دَجَّالٌ فلا تَكْتُبُوا وخَرَجَ مِنَ المَجْلِسِ؛ لأنَّهُ ما سَمِعَ بفضائِلِ الثَّلاثَةِ.

قُلْتُ - أي الذهبيُّ - هذا يَدُلُّ علىٰ زَعَارَةِ السُّلَيْمَانِي وَغِلْظَتِهِ - اللهُ يُسامِحُهُ -[2].

ومن دُرَرِ القَطامِيِّ:

قَدْ يُدْرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجتِهِ ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٢٧٧).

(٢) «السِّيَر» (١٢/ ٩٥).

وربَّما فاتَ قومًا نَجحُ سَعْيِهِمِ ... من التأنّي وكان الحَزْمُ لو عَجِلوا[1]

قُلْتُ: وكثيرٌ من الإنكارِ يَحْصُلُ في بابِ التأليفِ وتَخْطِئَةِ المؤلِّفِ وبعضُهُم يُطْلِقُ لسانَهُ بالعيبِ والثَّلْبِ لخطإٍ لُغويٍّ لم يُرِدْهُ المؤلِّفُ وإنما حَصَلَ ذلك من الطابعِ ولو أنَّهُ رَجَعَ إلى المؤلِّفِ وَوَقَفَهُ على الغَلَطِ فإنْ كان مقصودًا كانت حَسَنَةً وإن كان غيرَ مقصودٍ كانت حسنةً – أيضًا – بتذكيرِهِ والقاصِدُ لوَجْهِ اللهِ يمتثل قول رسول الله ﷺ: «وليأتِ إلى الناسِ ما يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليهِ»[2].

ويأتي البيوتَ من أبوابِها والموفَّقُ من وفَّقَهُ اللهُ.

ومن جميلِ ما قيلَ في هذا البابِ من الشِّعْرِ:

أخا العلمِ لا تعجلْ بعيبِ مُصَنِّفٍ ... ولم تَتَيَقَّنْ زلَّةً منه تُعْرَفُ

فكَمْ أفْسَدَ الراوي كلامًا بنَقْلِهِ ... وكم حَرَّفَ المنقولَ قومٌ وصَحَّفُوا

وكم ناسخٍ أضحَى لمعنى مُغَيِّرًا ... وجاءَ بشيءٍ لم يُرِدْهُ المُصَنِّفُ[3]

وقال أستاذُنا عبد الكريم العماد – حفظه الله –:

وافَيتُهُ ويدِي مخضوبةٌ بدمي ... فاغتاظَ باللَّومِ والتَّجريحِ والتُّهَمِ!!

ولَمْ يَسَلْنِيَ ما هذا؟، فقُلْتُ لَهُ: ... مَهلًا فَدَيْتُكَ لا تَغْضَبْ ولا تَلُمِ

قَطَفْتُ وردًا لكم، والشَّوكُ صاد يدي ... ولَهْفَةُ الشَّوقِ ألْهَتْني عن الألَمِ

---

(١) «من رحيقِ الشِّعْرِ» (٣٠).

(٢) رواهُ مسلمٌ (١٨٤٤) عن عبد اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما.

(٣) «من رحيقِ الشِّعْرِ» (٣١).

٤١- دفع الشُّكُوكِ عن المسلمين:

لمتى أنتم سكارى في شكوك ... لم تذق أنفسكم طعم السلوك[١]

وهذا البابُ من أبوابِ مراعاةِ المشاعرِ قَلَّ من يَتَفَطَّنُ له فالنبيُّ ﷺ كان إذا أتاهُ الخُصومُ ليقضيَ بينهما قال ﷺ: **«والذي نفسي بيدِهِ لأقْضِيَنَّ بينكما بكتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»**.

فعن أبي هريرةَ وزيدِ بنِ خالدِ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: إنَّ رجلًا من الأعرابِ أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ: أَنْشُدُكَ اللهَ إلَّا قضيتَ بيننا بكتابِ اللهِ... فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«والذي نفسي بيدِهِ لأقْضِيَنَّ بينكما بكتابِ اللهِ...»**[٢].

ولما جاء بنو مخزومٍ إلى النبيِّ ﷺ يَسْتَشْفِعون عنده بأسامةَ بنِ زيدٍ كي يتجاوزَ عن قَطْعِ يَدِ السارقةِ قال ﷺ: **«والذي نفسي بيدِهِ! لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَتْ لقَطَعَ محمدٌ يَدَها»**[٣].

ومعنى دَفْعِ الشكوكِ لما قد يُتَوَهَّمُ أنَّ الحكمَ فيه إجحافٌ وأنَّهُ كان عليه أنْ يتجوَّزَ عنهم بالعَفْوِ والمسامحةِ لكنْ لما قال في الحديثِ الأوَّلِ: لأَقْضِيَنَّ بينكما بكتابِ اللهِ. وفي الحديثِ الثاني: لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَتْ لَقَطَعَ محمدٌ يَدَها» ذَهَبَتِ الشكوكُ من نفوسِهم وطابَتْ بذلك ورَضِيَتْ ولم يشعرْ أيُّ واحدٍ منهم أنَّه مجروحٌ منه ﷺ.

وما من شك أن دَفْعَ الشكُوكِ عَنْ النَّاسِ يُغْلِقُ باب الشَّيطانِ والنَّفْسِ الأمَّارةِ ويحفظ للآخرين مشاعرهم قال عمرو بن الورد الشاعر الجاهلي:

---

(١) «ديوانُ النابُلُسِي» (٢٠٩).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٢٧٢٥).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٢٤٩١).

وَقَلْبٌ جلا عَنْهُ الشكوك فإن تَشَاء ... يُخَبِّرْكَ ظهر الغيب ما أنت فاعلُ

٤٢- تَجَنُّبُ الطَّعْنِ في النَّسَبِ:

إنْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بينَنا ... دِينٌ أقمناهُ مَقامَ الوالِدِ[١]

من مراعاةِ المشاعِرِ تَجَنُّبُ الطَّعْنِ في الأنسابِ؛ لأنَّ الطَّعْنَ في الأنسابِ إيذاءٌ للمؤمنين وقد قال اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**اثنتان في الناسِ هما بِهِ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ والنياحَةُ على الميِّتِ**»[٢].

قال القاضي عياضٌ رحمه الله: «أيْ من أعمالِ أهْلِ الكُفْرِ وعاداتِهم وأخلاقِ الجاهليَّةِ، وهما خِصْلتانِ مذمومتان محرَّمتانِ في الشَّرْعِ»[٣].

ويكونُ الطَّعْنُ في النَّسَبِ التعييرَ بها أو أن ينفيَ نَسَبَهُ، فمثلًا يقولُ في التَّعييرِ: أنت من القبيلةِ الفلانيَّةِ التي لا تدفَعُ العَدُوَّ ولا تحمي الضَّعيفَ ويذكُرُ فيها معايِبَ أو تدَّعي أنك من آلِ فُلانٍ ولستَ منهم أو يقولُ أنت لَسْتَ ابنَ فلانٍ مع ثبوتِ النَّسَبِ شَرْعًا فيجرحُ مشاعِرَهُ ومشاعِرَ والدَيْهِ.

فعنْ أنسٍ رضي الله عنه أنهم سألوا رسولَ اللهِ ﷺ فأكثروا المسألةَ، فقامَ على المِنْبَرِ فقال: سلوني فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ ما دُمْتُ في مقامي هذا إلا حَدَّثْتُكم بِهِ» فقامَ

---

(١) أخبارُ أبي تمامٍ (١) للصُّولي.

(٢) «رواهُ مسلمٌ» (٦٧).

(٣) «إكمالُ المُعْلِمِ شَرْحُ صحيحِ مُسْلِمٍ» (١/ ٢٢٨).

عبدُ اللهِ بنُ حُذافَةَ السَّهمِيُّ وكان يُطعَنُ في نَسَبِهِ، فقال: يا نبيَّ اللهِ من أبي فقال: «حُذافَةُ بنُ قيسٍ»(١).

قال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «عبدُ اللهِ بنُ حُذافةَ أسلم قديمًا وهاجَرَ إلىٰ أرضِ الحَبَشةِ الهجرةَ الثانيةَ، وشَهِدَ بَدرًا، وكانت فيه دُعابةٌ! وكان رسولُ اللهِ ﷺ أرسَلَهُ إلىٰ كِسرىٰ بكتابِ رسولِ اللهِ ﷺ ولمّا قال: من أبي يا رسولَ اللهِ؟ قال: أبوكَ حُذافةُ، قالت أُمُّهُ: ما سَمِعتُ بابنٍ أعَقَّ منك. أأمِنتَ أنْ تكونَ أُمُّكَ قارَفَتْ ما يُقارِفُ نِساءُ الجاهليَّةِ فتَفْضَحَها علىٰ أعيُنِ الناسِ؟ فقال: واللهِ لو ألحَقَني بعبدٍ أسودَ لَلَحِقتُ بِهِ»(٢).

وعليه فالإحساسُ بانقطاعِ النَّسَبِ عقدةٌ اجتماعيةٌ ولهذا جاء في روايةِ مسلمٍ لهذا الحديثِ: «فأنشأَ رجلٌ من المسجِدِ كان يُلاحَىٰ فيُدْعَىٰ لغيرِ أبيهِ فقال: يا نبيَّ اللهِ! من أبي؟»(٣) أي أنّه كان إذا خاصَمَهُ أحدٌ من الناسِ، سَبَّه وعَيَّرَهُ بِنِسبَتِهِ إلىٰ غيرِ أبيهِ، فكان ذلك يُحزِنُهُ ويُعقِّدُهُ فلمْ يَستطِعْ أن يَكتُمَ رغبَتَهُ الجامحةَ في معرفةِ حقيقةِ نَسَبِهِ رَغمَ ما شهِدَ من رهبةِ اللحظَةِ، وخَوفِ الصحابةِ من غَضَبِ النبيِّ ﷺ»(٤).

حَسْبُ الفتىٰ أنْ يكونَ ذا حَسَبٍ ... من نفسِهِ، ليس حُسْنُهُ حَسَبُهْ
ليس الذي يقتدي بِهِ نسبٌ ... مِثْلَ الذي ينتهي بِهِ نَسَبُهْ»(٥)

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٥٤٠).

(٢) «التمهيدُ» (٢١/ ٢٩١).

(٣) «رواهُ مُسلِمٌ» (٢٣٥٩).

(٤) «المُفَصَّلُ في فِقهِ الدعوةِ» (١٤/ ٢٣٥).

(٥) «الإعجازُ والإيجازُ» (٢١٤).

٤٣- تَجنُّبُ رَدِّ الهديَّة:

إن الهديَّـــــــةَ حلـــــوةٌ كالسِّـــحرِ تجتلِـــبُ القلوبـــا[١]

لا أعظمَ مراعاةً للمشاعرِ من قَبولِ الهديَّةِ ولا جُرْحَ أعظمَ من رَدِّها علىٰ صاحِبِها من غيرِ أنْ تُبيِّنَ سَبَبَ رَدِّها، وقد كان النبيُّ ﷺ يقبلُ الهديَّةَ قلَّتْ أو كثُرتْ، عظُمتْ أو حقُرتْ. فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «**لو دُعِيتُ إلىٰ ذراعٍ أو كُراعٍ لأجَبْتُ ولو أُهدِيَ إليَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لقَبِلْتُ**»[٢].

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «وخَصَّ الذِّراعَ والكُراعَ بالذِّكْرِ، ليجْمَعَ بين الأمْرَين: الحقير، والخطيرِ؛ لأنَّ الذِّراعَ كانت أحَبَّ إليه من غيرِها، والكُراعَ لا قيمة له»[٣].

وحَثَّ النبيُّ ﷺ علىٰ قبولِ الهديَّةِ وعَدَمِ ردِّها، فعنْ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أجيبوا الداعيَ ولا تَرُدُّوا الهديَّةَ**»[٤].

ونهىٰ ﷺ عن احتقارِ الهديَّةِ فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**يا نساءَ المسلماتِ لا تحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو فِرْسِنَ شاةٍ**[٥]»[٦].

---

(١) «أحسنُ ما سمِعْتُ» (٩٨).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٢٥٦٨).

(٣) «فتحُ الباري» (٥/ ٢٣٦).

(٤) (صحيحٌ) أخرجَهُ أحمدُ (١/ ٤٠٤)، والبخاريُّ في الأدبِ المُفْرَدِ (١٥٧)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (١٥٨).

(٥) فِرْسَنُ الشاةِ: ظِلْفُها.

(٦) «رواهُ البخاريُّ» (٦٠١٧)، و«مُسْلِمٌ» (١٠٣٠).

أي لا تحقرَنَّ أَنْ تُهدِيَ جارةٌ إلىٰ جارتِها شيئًا ولو أنَّها تُهدِي إليها ما لا يَنفَعُ في الغالبِ لجَلْبِ المحبَّةِ والمَوَدَّةِ.

وقد نهىٰ النبيُّ ﷺ عن رَدِّ الهديَّةِ لما يَحصُلُ بسببِ رَدِّها من جَرْحِ المشاعِرِ كما في حديثِ ابنِ مسعودٍ المتقدمِ: «أجيبوا الداعي ولا تَردوا الهدية».

ومن رَدَّ الهدية لأَيِّ سَبَبٍ فَلْيُبَيِّنْ سببَ الرَّدِّ مراعاةً لمشاعِرِ إخوانِهِ.

فعن الصَّعْبِ بنِ جثامةَ الليثيِّ أنَّه أهدىٰ للنبيِّ ﷺ حمارَ وحْشٍ وهو بالأبواءِ أو بودانَ وهو مُحْرِمٌ فرَدَّهُ قال صَعْبُ: فلمَّا عَرَفَ في وجهي رَدَّهُ هديتي قال: ليس بنا ردٌّ هديَّتِكَ، ولكنَّا حُرُمٌ»[1].

فالنبيُّ ﷺ بَيَّنَ للصَّعْبِ رضي الله عنه سَبَبَ ردِّهِ الهديةَ بقولِهِ: ولكنَّا حُرُمٌ: أي لولا أنَّا مُحْرِمون لقَبِلْناه منكَ.

هـدايا النـاسِ بعـضُهُم لِبَعْضٍ ... تُولِّـدُ في قلـوبِهم الوِصَـالا

وتـزرعُ في القلـوبِ هـوًى ووُدًّا ... وتكـسوكَ المهابَـةَ والجـلالا

مـصايِدُ للقلـوبِ بغيـرِ لَغْـبٍ ... وتمنَحُـكَ المحَبَّـةَ والجمـالا[2]

٤٤- تَجَنُّبُ أخْذِ حاجةِ الغيرِ إلا بإذْنِهِ:

وأعْلَـمُ أنَّ إذْنَكُـمُ نَجَـاحٌ ... وأنِّـي إنْ بَلَغْـتُكُمْ سَـعِيدُ[3]

من مراعاةِ المشاعِرِ ألا تستخدمَ حاجةَ الغيرِ كقَلَمٍ أو دفترٍ أو كتابٍ أو دَاوةٍ أو

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٢٤٥٦)، و«مسلمٌ» (١١٩٣).

(٢) «رَوْضَةُ العُقَلاءِ» (٢٤٤).

(٣) «دواوينُ الشِّعرِ العربيِّ» (١٣/ ١٤٣).

كرسيٍّ أو سيارةٍ أو سكينٍ أو مالٍ وما إلىٰ ذلك إلا بإذنٍ من صاحبِه وبطيبةِ نفسٍ منه.

ويدُلُّ علىٰ ذلك قولُهُ تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«كُلُّ المسلمِ علىٰ المسلمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُه»**(١).

وعن حذيفةَ الرقاشيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسٍ»**(٢).

وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: **«لا يَحْلُبَنَّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلا بإذنِه، أَيُحِبُّ أحدُكم أنْ تُؤتَىٰ مشرُبَتُهُ(٣) فَيَنْتَقِلَ طعامُهُ، وإنما تَخزُنُ لهم ضروعُ مواشيهم أطعمتَهم، فلا يَحْلُبَنَّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلا بإذنِهِ»**(٤).

قال النوويُّ رحمه الله: «ومعنىٰ الحديثِ أنه ﷺ شَبَّهَ اللَّبَنَ في الضَّرعِ بالطعامِ المُخَزَّنِ المحفوظِ في الخزانةِ في أنَّه لا يَحِلُّ أَخْذُهُ بغيرِ إذنِهِ، وفي الحديثِ فوائدُ منها: تحريمُ أَخْذِ مالِ الإنسانِ بغيرِ إذْنِهِ، والأَكْلِ منه والتصرُّفِ فيه، وأنه لا فَرْقَ بين اللَّبَنِ وغيرِهِ وسواءٌ المحتاجُ وغيرُهُ إلا المُضْطَرَّ فيأكُلُ الطعامَ للضرورةِ ويلزَمُهُ بَدَلٌ عندنا وعند الجمهورِ»(٥).

---

(١) «رواهُ مُسْلِمٌ» (٢٥٦٤).

(٢) (صحيحٌ) «أخرجه أحمدُ» (٥/ ٧٢)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواءِ» (٥/ ٢٧٩).

(٣) المَشْرُبَةُ - بِضَمِّ الراءِ -: الغُرْفَةُ.

(٤) «رواهُ البخاريُّ» (٢٤٣٥)، و«مسلمٌ» (١٧٢٦).

(٥) «شَرْحُ النَّوَوِي علىٰ مسلمٍ» (٤/ ٣٩١).

وقال الحافظ ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الحديثِ النهيُ عن أنْ يأخُذَ المسلمُ للمسلمِ شيئًا إلا بإذنِه، وإنما خصَّ اللَّبَنَ بالذكرِ لتساهُلِ الناسِ فيه فنبَّهَ بِهِ علىٰ ما هو أولىٰ منه»[1].

قال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

أعرني أداتي - لو سمحتَ - تكرُّمًا ... فإني - بإذنِ اللهِ - أُرْجِعُها غدا!!!

فتِلكَ التي من غيرِ إذنٍ أخذْتَها ... علينا، ولم تَقْطَعْ لنفسِكَ مَوعدا

٤٥- لزوم الرِّفْقِ:

الرِّفْقُ يُمْنٌ وخيرُ القولِ أصدَقُهُ ... وكثرةُ المِزْحِ مفتاحُ العداواتِ[2]

من مراعاةِ مشاعرِ الناسِ الرِّفْقُ بهم في كُلِّ شيءٍ يكونُ فيه الرفقُ فترَفَّقْ بهم في دعوتِهم إلىٰ اللهِ، في النصيحةِ في دينِهم ودنياهم، في التعامُلِ معهم سواءً أكانت تلك المعاملةُ في البيعِ والشِّراءِ أو الديونِ أو القضايا وما إلىٰ ذلك.

فما دَخَلَ الرفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ وما زانَ المتكلمَ إلا الرَّزَانَةُ.

والنصوصُ الشَّرعيَّةُ حافلةٌ بالحَثِّ علىٰ الرفقِ والترغيبِ فيه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

وكُلُّنا نعلمُ أنَّ هذا الرِّفْقَ والقولَ اللَّيِّنَ مع شَرِّ الناسِ الذي قال كما ذكَرَ اللهُ تعالىٰ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

---

(١) «فتحُ الباري» (٦/ ١٤).

(٢) «أدبُ الدنيا والدين» (١٨٢).

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِي علىٰ الرِّفْقِ ما لا يعطي علىٰ العُنْفِ وما لا يعطي علىٰ ما سواهُ»[١] وقال ﷺ: «مَنْ يُحْرِمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخيْرَ»[٢] وقال ﷺ: «بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا»[٣].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كُلِّه»[٤].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما كان الرفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَهُ»[٥].

قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: عليك - يا أخي - بالرفْقِ في معاملةِ أهلِكَ وقومِكَ، واعلمْ أنَّه لو لَمْ يَكُنْ لك من الرفْقِ إلا أنَّ اللهَ يُحِبُّهُ لكانَ كافيًا فكيفَ وهو يعطي علىٰ الرفْقِ ما لا يعطي علىٰ العُنْفِ، لا تحمِلْكَ الغيرةُ علىٰ العُنْفِ والشِّدَّةِ اضبطْ أعصابَكَ لا تتوتَّرْ، وارفُقْ في كُلِّ موطنٍ يكونُ فيه الرِّفْقُ»[٦].

قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الدعوةِ - يأْمُرُ بالرفقِ والخضوعِ، فإنْ أسمعوه ما يَكْرَهُ لا يَغْضَبُ، فيكونُ يريدُ ينتصرُ لنفسِهِ»[٧] ولقد أحْسَنَ الذي يقولُ:

لــو ســارَ ألــفُ مُــدَجَّجٍ في حاجــةٍ ... لــم يَقْــضِها إلا الــذي يَتَرَفَّــقُ[٨]

---

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٢٠٠٣).

(٢) «رواهُ مسلمٌ» (٢٠٠٣).

(٣) «رواهُ مسلمٌ» (١٧٣٢).

(٤) «رواهُ البُخاريُّ» (٦٩٢٧)، و«مسلمٌ» (٢١٦٥).

(٥) «رواهُ مسلمٌ» (١٤٦).

(٦) «شَرْحُ الكافيةِ الشافيةِ» (٣/ ١٦٠).

(٧) «جامِعُ العلومِ» (٢/ ٤٥٦).

(٨) «روضةُ العُقَلاءِ» (٢١٦).

وقال آخرُ:

الرفقُ أيْمَنُ شيءٍ أنت تَتْبَعُهُ والخُرْقُ أشأَمُ شيءٍ يَقْدُمُ الرَّجُلا

وذو التَّثَبُّتِ مِنْ حَمْدٍ إلى ظَفَرٍ مَنْ يركَبِ الرفْقَ لا يَسْتَحْقِبِ الزَّلَلا[١]

ويُعجبني ما نَقَلَهُ الشاطبيُّ عن أبي حامدٍ الغزاليِّ - رحمهما اللهُ - أنه قال: «أكثَرُ الجهالاتِ إنَّما رسخَتْ في قلوبِ العوامِ بتعصُّبِ جماعةٍ من أهل الحَقِّ أظهروا الحَقَّ في معرِضِ التحدي والإذلالِ، ونظروا إلىٰ ضُعفاءِ الخصومِ بعين التحقير والازدِراء، فثارَتْ من بواطِنِهم دواعي المعاندةِ، والمخالفةِ، ورسخَتْ في قلوبِهم الاعتقاداتُ الباطلةُ، وتعذَّرَ علىٰ العُلماءِ المتلطِّفين محوُها مع ظهورِ فسادِها.

ثم عَلَّقَ الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك بقولِهِ: «هذا ما قال وهو الحَقُّ الذي تشهَدُ له العوائِدُ الجاريةُ، فالواجِبُ تسكينُ الثائرةِ ما قُدِرَ علىٰ ذلك، واللهُ أعلمُ»[٢].

ومن جميلِ ما قيلَ في الرِّفْقِ:

لم أرَ مِثْلَ الرِّفْقِ في يُمْنِهِ يستخرجُ العذراءَ من خِدْرِها

من يستعِنْ بالرِّفْقِ في أمرِهِ يَسْتَخْرِجِ الحيَّةَ من جُحْرِها[٣]

٤٦- مراعاةُ المشاعرِ بتَرْكِ بعضِ المندوباتِ:

حَمِدْتُ إلهي بعد عروةَ إذ نجا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهونُ مِنْ بَعضِ[٤]

---

(١) «المرجعُ السابقُ» (٢١٦).

(٢) «الاعتصامُ» (٢/ ٣٠).

(٣) «أحسَنُ ما سَمِعتُ» للثعالبي (٨٨).

(٤) «الذخائرُ والعبقرياتُ» (١/ ٢٢٣).

يَحْسُنُ مراعاةُ مشاعِرِ الناسِ بتَركِ بعضِ المندوباتِ الشَّرعيةِ وهذا بابٌ عظيمٌ وليسَ كُلُّ واحدٍ يُحْسِنُهُ.

وقد قال النبيُّ ﷺ لعائشةَ رضي الله عنها: يا عائشةُ! لولا أنَّ قومَكِ حديثو عَهْدٍ بكُفْرٍ؛ لنَقَضْتُ الكعبةَ ولبَنَيْتُها على قواعِدِ إبراهيمَ، ولكنْ أخشى يا عائشةُ أن تُنكِرَ قلوبُهم»[1].

قال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

كريمٌ يغضُّ الطَّرْفَ عن كُلِّ ريبةٍ ... ويَرْبَأُ نَفْسًا أنْ يعيشَ مُداهِنا

وقد يَتْرُكُ المندوبَ إنْ ظَنَّ أنَّهُ ... يُضايِقُ قومًا أو يُثيرُ الضغائنا

٤٧- الشُّعورُ بحاجةِ الغيْرِ ومواساتُهُ:

ليسَ جُودُ الجَوادِ من فَضْلِ مالٍ ... إنما الجودُ للمُقِلِّ المواسي[2]

إذا كان عندكَ فضولٌ من الأمتعةِ أو الفراشِ أو المركوبِ وجارُكَ أو صديقُكَ أو أخوكَ أو قريبُكَ في حاجةٍ إليه ويعلمُ أنَّ ذلك موجودٌ عندَك لكنْ لا يُحِبُّ أنْ يطلبَ ذلك منك فجميلٌ أنْ تواسِيَهُ من غيرِ مسألةٍ وأجمَلُ من ذلك أن تحفَظَ لِنَفْسِهِ عِزَّتَها وتراعيَ مشاعِرَها والكريمُ من يتلمَّحُ حاجةَ الغيرِ إلى ما عنده من الفضولِ ويتلمَّحُ استشرافَ البَعْضِ إليه فيَقْهَرُ شُحَّ نفسِهِ ويبذُلُ معروفَهُ وما عند اللهِ خيرٌ له من ذلك.

فعن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لَهُ: «فِرَاشٌ للرجُلِ وفراشٌ

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (١٥٨٥)، و«مسلمٌ» (١٣٣٣).

(٢) «التمثيلُ والمحاضرةُ» الثعالبي (٤٢٣).

لامرأتِهِ والثالِثُ للضَّيفِ والرابعُ للشيطانِ[١]»[٢].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «من مَنَعَ فَضْلَ مائِهِ أو فَضْلَ كَلَئِهِ مَنَعَهُ اللهُ فَضْلَهُ يومَ القيامةِ»[٣].

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من كان مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ[٤] فَلْيَعُدْ به على من لا ظَهْرَ لَهُ[٥] ومن كان له فَضْلٌ من زادٍ، فَلْيَعُدْ به على من لا زادَ لَهُ».

قال: فذكر من أصنافِ المالِ ما ذَكَرَ حتَّى رأينا أنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ[٦]»[٧].

إذا أنـا لـم أُذنِ الـشفيقَ لنُـصْحِهِ ... وأقـصي الـذي تـسري إلـيَّ عقاربُـهُ

وأعْـطِ المواسـي في الـبلاءِ عطِيَّـةً ... يـردُّ الـذي ضَـاقَتْ عَلَيْـهِ مذاهِبُـهُ

فمَـنْ يتقـي يـومي ويرعـى مـودَّتي ... ويخشى غدي والدهرُ جَمٌّ عجائِبُهُ»[٨]

---

(١) والرابعُ للشيطانِ: قيل: هو على ظاهرِهِ، وأنَّ الشيطانَ يبيتُ عليه حقيقةً، وقيل معناهُ: أنَّ ما زاد على الحاجةِ فاتِّخاذُهُ إنما هو للمُباهاةِ والاختيالِ والالتهاء بزينةِ الدنيا، وما كان بهذِهِ الصفةِ فهو مذمومٌ.

(٢) «رواه مُسلمٌ» (٢٠٨٤).

(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (٦٦٧٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٦٥٦٠).

(٤) من كان عندَهُ فضلُ ظهرٍ: الفضلُ هو الزائدُ عن الحاجةِ، والظَّهْرُ هو المركوبُ جَمَلٌ، أو حصانٌ، أو حمارٌ، أو سيارةٌ، وغيرُهُ.

(٥) فَلْيَعُدْ بهِ على مَنْ لا ظَهْرَ لهُ: أي فَلْيُعْطِهِ مَنْ لا مركوبَ لهُ، من بابِ الترغيبِ والحثِّ على عَمَلِ الخيرِ.

(٦) لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فضلٍ: راوي هذا الحديثِ يرى أنَّ كُلَّ ما فَضُلَ عن الحاجةِ عليهِ أنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ، وهذا خيرٌ لِمَنْ فَعَلَهُ.

(٧) «رواهُ مسلمٌ» (١٧٢٨).

(٨) «الحُلَّةُ السيراءُ» (٣٢).

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد – حفظه الله ورعاه –:

تؤرِّقُــهُ في اللّيــلِ آلامُ غيــرِهِ ... ويُصبِحُ مهمومًا من النومِ صائما

تـراهُ يواسِي الناسَ فيما أصابَهُمْ ... وإنْ كان ممّا يشتكي الناسُ سالما

كأنَّ قلوبَ الناسِ في قلبِهِ ثَوَتْ ... وإنَّ لــه في كُـلِّ قلـبٍ مآتِمــا

٤٨- تَجَنُّبُ عَيْبِ الطعامِ:

وأجـرأُ مـن رأيـتُ بظَهْـرِ عَيْـبٍ ... على عَيْبِ (الطعامِ) أُولُو العُيُوبِ[١]

من مراعاةِ المشاعِرِ تَجَنُّبُ عيبِ الطعامِ فإذا أعجبَكَ فكُلْ وإذا لم يعجبْكَ فأمسِكْ هكذا كان رسولُ اللهِ ﷺ فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «ما عابَ رسولُ اللهِ ﷺ طعامًا – قَطُّ – كان إذا اشتهىٰ أكَلَهُ وإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»[٢].

وعيبُ الطعامِ كقولكَ: مالحٌ، قليلُ مِلْحٍ، حامضٌ، رقيقٌ، غليظٌ غير ناضجٍ ونحوِ ذلكَ»[٣].

وعلَّةُ النَّهْيِ في ذلك؛ لأنَّ الطعامَ خَلَقَهُ اللهُ فلا يُعابُ، وفيه وجهٌ آخَرُ وهو أنَّ عَيْبَ الطعامِ يُدْخِلُ علىٰ قَلْبِ الصانعِ الحُزْنَ والألَمَ لكونِهِ الذي أعَدَّهُ وهيَّأهُ، فسَدَّ النبيُّ ﷺ هذا البابَ حتىٰ لا يَجِدَ الحُزْنُ طريقًا إلىٰ قَلْبِ المسلمِ، والشَّريعةُ تأتي بمِثْلِ هذا دائمًا»[٤].

---

(١) «مُعْجَمُ الأدَباءِ» (٣/ ١٢٣٣).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٥٤٠٩)، و«مسلمٌ» (٢٠٦٤).

(٣) «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (١٤/ ٢٢).

(٤) كتابُ الآدابِ للشلهوبِ (١٥٤).

ولله درُّ القائلِ:

ومطروفَـةٌ عينـاهُ عـن عَيْـبِ نَفْسِـهِ ... فـإنْ بـانَ عَيْـبٌ من أخيـهِ تَبَصَّرا[١]

٤٩- لا تحمدِ اللهَ وَسَطَ الطعامِ:

وحَمْـدُ اللهِ يُحْسَنُ كُـلَّ وَقْـتٍ ... ولكـن لـيس في وَسَـطِ الطعـامِ[٢]

من مراعاةِ مشاعرِ الضيوفِ عَدَمُ حَمْدِ اللهِ وَسَطَ الطعامِ لِئَلَّا يظنُّوا أنَّكَ تأمُرُهم بالكفِّ عن الطعامِ.

كما حكَىٰ جَحْظَةُ عن نفسِهِ، قال: أكَلَ عندي بَعْضُ المُجَّانِ، فَسَمِعني، وأنا أحمدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في وَسَطِ الطعامِ لشيءٍ خَطَرَ ببالي من نعمةِ التي لا تُحْصَىٰ، فَنَهَضَ وقال: أُعطِي اللهَ عهدًا إنْ عاوَدْتُ، وما معنَىٰ التحميدِ في هذا الموضِعِ؟ كأنَّكَ أرَدْتَ أنْ تُعْلِمَنا أنا قَدْ شبِعْنا، ثم مالَ إلىٰ الدواةِ فكتَبَ:

وحَمْـدُ اللهِ يَحْسُنُ كُـلَّ وقْـتٍ ... ولكـن لـيس في وَسَـطِ الطعـامِ

لأنَّـكَ تَحْـشُمُ الأضيافَ مِنْـهُ ... وتـأمُرُهُم بإسـراعِ القيـامِ

وتُـؤذِيهم ومـا شَـبِعوا بِـشِبْعٍ ... وذلـك لـيس مـن خُلُـقِ الكِـرامِ[٣]

وهذا وإنْ حَصَلَ من مَجَّانٍ إلا أنَّهُ يَحْسُنُ تَرْكُ ذلك أي التحميدُ وَسَطَ الطَّعامِ ويَدْخُلُ في ذلك دوامُ صَبِّ الماءِ للضُّيوفِ من غيرِ حاجةٍ أو إطالةُ النَّظَرِ إليهم وهم يأكلون.

---

(١) «الآدابُ النافعةُ» (٣٩).

(٢) «الذخائرُ والعبقرياتُ» (٢/ ٢٤).

(٣) «آدابُ المُؤاكلةِ» (٤٠).

٥٠- لا يَؤُمُّ الزَّائِرُ صاحِبَ البيتِ إلا بإذْنِه:

إذا القـومُ أمُّـوا بيتَـهُ فهـو عاقـدٌ لأحسنِ ما ظنُّوا بِهِ فهو فاعِلُهْ(١)

من مراعاةِ المشاعِرِ عَدَمُ تَقَدُّمِ الضيفِ في الإمامةِ علىٰ مضيفِهِ أي صاحِبِ البيتِ؛ فصاحبُ البيتِ أولىٰ بالإمامة من الضيفِ حتىٰ لو كان الضيفُ أحْفَظَ وأسَنَّ إلا أنْ يأذَنَ لَهُ في ذلك، ولا يَجْلسْ علىٰ فِراشِهِ إلا بإذْنِه.

فعن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَؤُمُّ القومَ أقرؤُهم لكتابِ اللهِ، فإنْ كانوا في القراءةِ سواءً، فأعلمُهم بالسُّنَّةِ، فإنْ كانوا في السُّنَّةِ سواءً، فأقدمُهم هِجرةً فإنْ كانوا في الهجرةِ سواءً، فأقْدَمُهم سِلمًا، وفي روايةٍ: سِنًّا، ولا يَؤُمَّنَّ الرجُلُ الرجلَ في سلطانِه، ولا يَقْعُدْ في بيتِهِ علىٰ تكرِمَتِهِ(٢) إلا بإذْنِهِ وفي روايةٍ إلا أنْ يأْذَنَ لك أو بإذْنِه»(٣).

قال النوويُّ رحمه الله: «معناه... أنَّ صاحِبَ البيت والمجلسِ وإمامَ المسجِدِ أحَقُّ من غيرِهِ، وإنْ كان ذلك الغَيْرُ أفْقَهَ وأقْرَأَ وأورَعَ وأفضلَ منه، وصاحِبُ المكانِ أحَقُّ فإنْ شاءَ تقدَّمَ وإنْ شاءَ قَدَّمَ مَنْ يريدُهُ وإنْ كان الذي يُقَدِّمُهُ مفضولًا بالنسبةِ إلىٰ باقي الحاضرين؛ لأنَّهُ سلطانُهُ فيَتَصَرَّفُ فيه كيفَ شاءَ»(٤).

---

(١) «أماليّ القالي» (٢٧٥).

(٢) التكْرِمَةُ: الفِراشُ ونحوُهُ مِمَّا يُبْسَطُ لصاحِبِ المنزِلِ ويُخَصُّ بِهِ «شرحُ النوويِّ علىٰ مسلمٍ» (٥/ ١٤٣) حديثُ (٦٧٣).

(٣) «رواهُ مسلمٌ» (٦٧٣).

(٤) «شرحُ النوويِّ علىٰ مسلمٍ» (٣/ ٥/ ١٤٢) (حديثُ ٦٧٣).

٥١. تَجنُّبِ المُكث في بيوتِ الآخرين لغيرِ حاجةٍ:

خَفِّـفْ علـى إخوانِـكَ المُؤَنـا ... إن شِـئْتَ أنْ تَبقَـى لهـم سَـكَنا[1]

من مراعاةِ المشاعِرِ عَدَمُ إطالةِ المُكْثِ في بيوتِ الناسِ أو مَقرِّ عَمَلِهم حتى لا يتأذَّى أحَدٌ بذلك وربَّما يستحي المَزُورُ أن يقولَ لكَ قد أطَلْتَ فانصَرِفْ، واعلَمْ أنَّ للناسِ حاجاتٍ وأعمالاً.

وتأمَّلْ إلى تأديبِ اللهِ ﷻ للصحابةِ حين أطالوا المُكْثَ في بيتِ النبيِّ ﷺ حتى استحيا منهم قال اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: «يأمُرُ اللهُ ﷻ عبادَهُ المؤمنين بالتأدُّبِ مع رسولِ اللهِ ﷺ في دخولِ بيوتِهِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: لا تدخُلُوها بغيرِ إذْنٍ للدخولِ فيها لأجْلِ الطعامِ، وأيضًا لا تكونوا ﴿نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي: منتظرين ومُتأنِّين لانتظارِ نُضْجِهِ أو سَعَةِ صَدْرٍ بعد الفراغِ منه والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلا بشرْطين:

- الإذنُ لكم بالدخولِ.

---

(١) «الأغاني» (٢٠/ ١٣٧).

- وأنْ يكونَ جُلوسُكم بمقدارِ الحاجةِ»[1] ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ أي اخرجوا بسُرعةٍ حتىٰ يتهيأ لصاحبِ البيتِ أن يذهَبَ إلىٰ أهلِهِ ويجلسَ ويستريحَ.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي لا تدخلوها لا ناظرينَ ولا مستأنسين بالحديث وهو الأُنْسُ بالرسولِ والمُتْعَةُ بالحديثِ إليه، وإن كان مما يُسْتَحَبُّ إلا أنَّ البيوتَ إنما جُعِلَتْ للسَّكَنِ والراحةِ وكذلك مَقَرُّ العَمَلِ إنما جعل للعملِ ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ أي: أذىً نفسيًا.

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ أنْ يقولَ لكم: «اخرُجوا» كما هو جاري العادةِ أنَّ الناسَ الكرامَ منهم يَسْتحيون أنْ يُخرِجوا الناسَ من مساكِنِهم»[2].

ومما جاءَ في أسبابِ نزولِ الآيةِ عن أنسٍ ﷺ قال: لما تَزَوَّجَ رسولُ الله ﷺ زينبَ ابنةَ جَحْشٍ صَنَعَ طعامًا ودعا القومَ، فطَعِمُوا ثمَّ جَلَسُوا يتحدَّثون وإذا هو كأنَّهُ يتهيأُ للقيامِ، فلم يقوموا، فلمَّا رأىٰ ذلك، قامَ فلمَّا قامَ قامَ مَنْ قامَ وقَعَدَ ثلاثةُ نَفَرٍ، فجاءَ النبيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فإذا القومُ جلوسٌ، فجَعَلَ النبيُّ ﷺ يَخْرُجُ ثمَّ يَرْجِعُ فانطلقَ إلىٰ حجرةِ عائشةَ ﷺ فتقرَّىٰ حُجَرَ نسائِهِ كُلِّهِنَّ يُسَلِّمُ عليهِن، ويُسَلِّمْنَ عليه، ويدعُون له، ثم إنَّهم قاموا فانطلقْتُ، فجئتُ فأخبَرْتُ النبيَّ ﷺ: «أنهم قد انطلقوا،

---

(١) انظرْ «تفسيرَ ابنِ سَعْدي» (٦٧٠).

(٢) «تفسيرُ ابنِ سَعْدي» (٦٧٠).

فجاءَ حتىٰ دَخَلَ»(١).

فأنت تلاحِظُ أنَّ المُكْثَ في البيوتِ أو مَقَرِّ العَمَلِ بعد انتهاءِ الغَرَضِ الذي من أجْلِهِ أُذِنَ لك فيه إيذاءٌ لصاحِبِ البيتِ أو رَبِّ العَمَلِ وأفْلَحَ من كان خفيفًا.

خَفِّفْ علىٰ أصحابِكَ المُؤَنا ... أو لا فَلَسْتَ لهم إذًا سَكَنا

لا تغترِرْ بدُنُوٍّ ذي لُطُفٍ ... يدنو إليك وإنْ دَنَوتَ دَنا

واعلمْ جزاكَ اللهُ صالحةً ... إنَّ ابنَ آدمَ لم يَزَلْ أُذُنا

متصرِّفًا شَرِسَ الطباعِ له ... عَينٌ تُرِيهِ قُبْحَهُ حَسَنا(٢)

فإذا كان هذا التأديبُ في بيتِ سَيِّدِ الخَلْقِ وأكرمِهم وأوسَعِهم صَدْرًا وأفرَحِهم بإطعامِ المساكينِ والفقراءِ فكيفَ ببيوتِ مَنْ هم سواهُ ﷺ.

٥٢- لا تُطِلِ المقامَ حتى تُؤْثِمَ مُضِيفَكَ:

ألا رُبَّ ضيفٍ مرَّ بي قد بسطتُهُ ... وآنستُهُ قبلَ الضيافةِ بالبِشْرِ(٣)

من مراعاةِ المشاعِرِ عَدَمُ إحراجِ المضيفِ بالمكوثِ الطويلِ عنده إلا إذا عَلِمَ الضيفُ أنَّ مضيفَهُ لا يَكْرَهُ ذلك، إمَّا بطَلَبِهِ وإما برضاهُ ويَعْرِفُ رضاهُ من ارتياحِهِ، وسَعَةِ الحالِ وانشراحِهِ وأُنسِهِ به، ومتىٰ شَكَّ الضيفُ فالأولَىٰ ألَّا يَبْقَىٰ بعد الثلاث.

فعن أبي شريحٍ الخزاعيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الضيافةُ ثلاثةُ أيامٍ،**

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٤٧٩١).

(٢) «المُحمدُونَ من الشعراءِ» (٩٦).

(٣) «طبقاتُ الشعراءِ» لابن المعتزِّ (١٧١).

وجائزتُهُ[١] يومٌ وليلةٌ، ولا يَحِلُّ لرجلٍ مسلمٍ أنْ يُقِيمَ عند أخيه حتىٰ يُؤْثِمَهُ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وكيف يُؤْثِمُهُ؟!

قال: **يُقيمُ عِنْدَهُ، ولا شيءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ»[٢].**

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ عند قولِهِ: «حتىٰ يُؤْثِمَهُ»: «وذلك أنَّهُ إذا لم يكنْ لَهُ ما يُقريه بِهِ، تَسَخَّطَ بِإقامَتِهِ، ورُبَّما ذكَرَهُ بقبيحٍ ورُبَّما أثم في كَسْبِ ما يُنْفِقُهُ عَلَيْهِ»[٣].

وقد عدَّ بعضُ أهلِ العلمِ إطالةَ ثُواءِ[٤] الضيفِ عند مضيفِهِ من التطفُّلِ، قَالَ الخطيبُ البغداديُّ رَحِمَهُ اللهُ: «والضَّيْفُ إذا طال المثوىٰ عِنْدَ مُضِيفِهِ حتىٰ يُخْرِجَهُ، ويَشُقَّ عليه - كان بمنزلةِ المُتَطَفِّلِ»[٥].

فتبيَّن لك أنَّ من مراعاةِ المشاعِرِ والأحاسيسِ عَدَمُ إطالةِ المكوثِ عند المضيفِ حتىٰ يُخْرِجَهُ[٦].

لَقَـلَّ عـارًا إذا ضـيفٌ تـضَيَّفَني	مـا كـان عندي إذا أعطيتُ مَجهودي
فَـضْلُ المُقِـلِّ إذا أعطـاهُ مـصطبرًا	ومكثـرٍ في الغِنَـى سِيَّانِ في الجُـودِ[٧]

---

(١) الجائزةُ: العَطِيَّةُ.

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٦١٣٥)، و«مسلمٌ» (٤٨) واللفظُ له.

(٣) «كَشْفُ المُشْكِلِ» (٤/ ٨٨).

(٤) ثوَىٰ المكانَ وبه يثوىٰ ثواءً - بالفتحِ - وثُويًّا - بالضَّمِّ -: أقامَ به ونَزَلَ.

(٥) «التَّطفيلُ» للخطيبِ البغدادي (٦٨).

(٦) انظرْ كتابي «آدابَ الضيافةِ» فَكُلُّ الصيدِ في جوفِهِ.

(٧) «الإمتاعُ والمؤانسةُ» (٣٠٥).

٥٣- تَجَنُّبِ الفَرَحَ عند المَحْزون:

مِـن اللآمـة حـزنٌ عنـد ذي فـرحٍ ... أو أن تُبِـينَ سرورًا عند محزونِ[1]

إذا رأيتَ أخاكَ قد أُصيبَ بمصيبةٍ في نفسِهِ أو مالِهِ أو وَلَدِهِ أو أهْلِهِ فمِنْ مراعاةِ مشاعِرِهِ عَدَمُ إظهارِ السُّرورِ عنده بل يَحْسُنُ أنْ تُظْهِرَ الحُزْنَ لمُصَابِهِ وتشارِكَهُ هَمَّهُ.

قال ابنُ المقفَّع: «واتَّقِ الفَرَحَ عند المحزونِ، واعلمْ أنَّه يَحْقِدُ على المُنْطَلِقِ[2] ويشْكُرُ للمُكْتئِبِ»[3].

ولا يَعْزُبُ عنك أنَّ ما وَقَعَ في قلبِكَ من حزنٍ أو سرورٍ ظَهَرَ على وجْهِكَ فإنْ لم يَكُنْ ثَمَّ صِدْقًا في التعبيرِ عن مشاعِرِكَ فتوارَ بالحجابِ فإنَّهُ قد قِيلَ: «أمَا يُبصِرُ في عينيَّ عنوانَ الذي أبدي»[4] ويعجبني قولُ المهديِّ بنِ المنصور:

ومُطَّلـعٌ مِـن نَفْسِـهِ مـا يسُرُّهُ ... عليـه مِـن اللَّحْـظِ الخفـيِّ دليـلُ

إذا هـو لـم يُبْـدِ الـذي في ضميرِهِ ... ففي اللَّحْظِ والإيماءِ مِنْهُ رسُولُ[5]

٥٤- تَجَنُّبِ التَّخْبيبُ:

ومـا أنـتَ بالخَبِّ الختُورِ ولا الـذي ... إذا اسْتُودِعَ الأسـرارَ يومًـا أذاعهـا

---

(١) قاله أُستاذُنا عبدُ الكريم العِمَادُ - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) المُنطَلِقُ: المسرورُ المُتهلِّل.

(٣) «الأدبُ الصغيرُ والأدبُ الكبيرُ» (١٢٧).

(٤) «عيونُ الأخبارِ» (٢/ ١٨١).

(٥) «شَرْحُ مقاماتِ الحريري» (١/ ٢٩١).

من مراعاةِ المشاعرِ عَدَمُ تَخبيبِ المرأةِ علىٰ زَوْجِها، أو الخادِمِ علىٰ مخدومِهِ، أو الغلامِ علىٰ أبويهِ أو أحدِهما.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأةً علىٰ زوجِها، أو عبدًا علىٰ سَيِّدِهِ»[1].

والتَّخبيبُ هو الإفسادُ والخِداعُ كَمَنْ خَدَعَ وَلَدَكَ وأَفسَدَهُ عليك وكذلك الزوجةُ والعَبْدُ ويَدْخُل في ذلكَ العامِلُ أو الشَّريكُ أو الصاحِبُ والتَّخبيبُ محرَّمٌ ومن مساوئِ الأخلاقِ فمن مراعاةِ المشاعِرِ تَجَنُّبُ التَّخبيبِ وسواءٌ أكان بتلميحٍ أو تصريحٍ أو إشارةٍ واللهُ الموفِّقُ.

قال أستاذنا عبد الكريم بن العماد - حفِظَهُ اللهُ -:

أفسَدْتَهُ حتى إذا فارقْتَهُ ... أمْسَيتَ منه من الحماقةِ تَسْخَرُ!

هو أحمقٌ حقًّا بطاعةِ وَهْمِهِ ... ولما يراهُ من الحقيقةِ يُنكِرُ!!

٥٥- تجنُّبِ المزاحَ المخالِفَ للسُّنَّةِ:

واحذَرْ مُمازَحَةً تقودُ عداوةً ... إنَّ المزاحَ على مُقَدِّمةِ العَطَبْ[2]

المزاحُ أمرٌ مشروعٌ ولحاجةِ الناسِ إلىٰ الترويحِ عن نفوسِهم بما يُخَفِّفُ عنها أعباءَ الحياةِ وهمومَها، ولا حَرَجَ فيه ما دامَ مُنْضبطًا بِهَدْيِ النبيِّ ﷺ ولا يترتَّبُ عليه أيُّ ضَرَرٍ ماديٍّ أو معنويٍّ أو تَرْويعٌ للآخرين أو جَرْحُ مشاعِرِهم، فالنبيُّ ﷺ كان يَمْزَحُ ويداعِبُ أصحابَهُ ولا يقولُ إلا حقًّا.

---

(١) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (٥/ ٣٥٢) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٥٤٣٦).

(٢) «الآدابُ النافعةُ» لابنِ شمسِ الخلافةِ (٣١).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قالوا: يا رسولَ الله! إنَّك تُداعِبُنا قال: «نعم، غيرَ أني لا أقولُ إلا حقًّا»[١].

قال الخطابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسُئِلَ بعضُ السَّلَفِ عن مزاحِ الرسولِ ﷺ، فقال: كانت له مهابةٌ، فكان يَبْسُطُ الناسَ بالدُّعابَةِ»[٢].

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قولُهُ: «ولا أقولُ إلا حقًّا»: بعِصْمَتي من الزَّلَلِ في القولِ والعَمَلِ»[٣].

وقد يتحوَّلُ المزاحُ إلىٰ جَرْحِ مشاعرِ الآخرين كالكَذِبِ عليهم أو السُّخْرِيَةِ منهم أو حكايةِ قِصَّةٍ أو موقفٍ لا يُحبُّون ذكرَها سواءً أكان في شَخْصِهم أو ما يتَّصِلُ بهم من بلدةٍ أو قبيلةٍ أو عائلةٍ وسواءً أكانت تلك الحكايةُ أو ذلك الموقفُ كذبًا أو صِدقًا.

وقد يكونُ المزاحُ بأَخْذِ متاعِ الآخرِ أو تَرْويعِهِ وأسْوأُ من ذلك المزاحُ بالسِّلاح.

فَعَنْ عبدِ اللهِ بن السائِب عن أبيهِ عن جَدِّهِ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يأْخُذَنَّ أحَدُكم متاعَ أخيه لاعِبًا ولا جادًّا، ومن أَخَذَ عصا أخيه فلْيَرُدَّها عليه»[٤].

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلىٰ قال: حدَّثَنا أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهم كانوا يَسيرون مع رسولِ اللهِ ﷺ في مسيرٍ، فنامَ رجُلٌ منهم، فانطلَقَ بعضُهم إلىٰ نَبْلٍ مَعَهُ

---

(١) (صحيحٌ) أخرجهُ الترمذيُّ (١٩٩٠)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٢٥٠٩).

(٢) «غريبُ الحديثِ» (٢/ ١٦٣).

(٣) «فَيْضُ القديرِ» (٣/ ١٣).

(٤) (صحيحٌ) أخرجهُ أبو داودَ (٥٠٠٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي داودَ» (٤١٨٣).

فأَخَذَها، فلمَّا استيقظَ الرجُلُ فَزِعَ، فَضَحِكَ القومُ، فقال: «ما يُضحِكُكُم؟» فقالوا: لا، إلَّا أنَّا أخَذْنا نَبْلَ هذا فَفَزِعَ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مسلمًا»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشارَ إلىٰ أخيهِ بحديدةٍ، فإنَّ الملائكةَ تَلْعَنُهُ حتىٰ يَدَعَهُ، وإن كان أخاه لأبيه وأُمِّهِ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يُشِيرُ أحَدُكُم علىٰ أخيهِ بالسِّلاحِ فإنَّه لا يدري لَعَلَّ الشيطانَ يَنْزِعُ في يدِهِ فَيَقَعَ في حُفْرةٍ من النارِ»[٣].

قال ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «وفي الحديثِ النهيُ عَمَّا يُفْضِي إلىٰ المحذُور وإنْ لم يَكُنِ المحذورُ محققًا سواءٌ أكان ذلك في جِدَّةٍ أو هَزَلٍ»[٤].

«لا تُوردَنَّ على الصديقِ ... من الدُّعابةِ ما يَغُمُّهْ
واحذرْ بوادِرَ طيْشِهِ ... يومًا إذا ما غابَ حِلْمُهْ
فالعِجْلُ تَنْطَحُهُ، على ... إدْمانِ مَصِّ الضَّرْعِ أُمُّهْ»[٥]

٥٦- الإقبالُ على الضَّيْفِ أو الزَّائرِ:

وأَقبَلَتْ إقبالَ السَّعادةِ كُلُّها ... علينا فحيَّا اللهُ وجْهَكَ مقبلا[٦]

---

(١) (صحيحٌ) أخرجه أحمدُ (٢٣٠٦٤)، وأبو داودَ (٥٠٠٤)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ أبي داود» (٤١٨٤).

(٢) رواهُ مسلمٌ (٢٦١٦).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠٧٢)، و«مسلمٌ» (٢٦١٧).

(٤) «فتحُ الباري» (١٣/ ٢٨).

(٥) «الآدابُ النافعةُ» لابنِ شَمْسِ الخلافةِ (٣١).

(٦) «ديوانُ الأخرسِ» (٣٥٢).

ليسَ من مراعاةِ المشاعِرِ أنْ يَقصِدَكَ أخٌ لكَ زيارةً في اللهِ فيَجِدَكَ جافًا تلقاهُ ببُرودٍ وتصافِحَهُ ببرودٍ ثم تَنصَرِفُ عنه إلىٰ غَيْرِهِ.

وإنما المراعاةُ الحقيقيَّةُ أنْ تُرَحِّبَ بأخيكَ وتَهَشَّ له وتَبَشَّ وتَفرَحَ بِمَقْدَمِهِ وتُسْرِعَ إلىٰ إكرامِهِ بما وُجِدَ وتأْخُذَهُ مَعَكَ إلىٰ بيتِكَ وتُطْعِمَهُ من طعامِكَ ما استطعْتَ ولا تَصْرِفْ عنه وَجْهَكَ إلىٰ غيرِهِ ولا يزالُ هذا دَأْبَكَ حتىٰ يغيبَ عنكَ.

ويعجبني ما ينسب للشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

إذا المــرءُ لا يرعــاكَ إلا تكلُّفًــا	فَدَعْــهُ ولا تكثــر عليــه التأسُّــفا
ففي النـاس أبدالٌ وفي التـرك راحَـةٌ	وفي القَلْـبِ صَبْرٌ للحبيـبِ ولـو جَفَـا
فمـا كُـلُّ مَـنْ تَهْـوَاهُ يَهْـوَاكَ قَلْبُـهُ	ولا كـل مـن صـافَيْتَهُ لَـكَ قَـد صَفَـا
إذا لـم يكـن صـفو الـودادِ طَبِيعَـةً	فـلا خَيْـرَ في وِدٍّ يَجِـيءُ تَكَلُّفَـا
ولا خيــر في خِــلٍّ يخــون خَلِيلَــهُ	ويَلْقَـاهُ مِـنْ بَعْـدِ المَـوَدَّةِ بالجَفَـا[1]

٥٧- الدفعُ بِالتي هي أحْسَنُ:

وعاشِرْ بمعروفٍ وسامِحْ من اعتدى	ودافِعْ ولكِـنْ بـالتي هـي أَحْسَنُ[2]

ما أجملَ أنْ تُرَاعِيَ مشاعِرَ الناسِ، وأجملُ من ذلكَ أنْ تُراعِيَ مشاعِرَ مَنْ يَجْرَحُ مشاعِرَكَ فلا تُقابِلِ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئةِ ولكنْ تعفو وتصفَحُ هكذا كان خُلُقُ نبيِّنا ﷺ وهذا

---

(١) «نزهة الأنصارِ» (٤٤).

(٢) «صَيْدُ الأفكارِ» (٤٩٥).

ما وَصَفَتْهُ بِهِ عائشةُ رضي الله عنها: «ولا يَجْزِي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولكنْ يعفو ويَصْفَحُ»(١).

زِدْ علىٰ ذلك أنَّ الدَّفعَ بالتي هي أحْسَنُ أدبٌ ربانيٌّ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

ماذا على بَوَّابِ دارِكم الذي ... لم يُعْطِنا إذنًا ولا يَستأذِنِ

لو ردَّنا ردًّا جميلًا عنكُمُ ... أو كان يَدْفَعُ بالتي هي أحْسَنُ(٢)

٥٨- تَجَنُّبِ القيامَ عن أخيكَ إلا بإذنِهِ:

أرى الرَّجلَ قد تسعَى إلى مَنْ تُحِبُّهُ ... وما الرَّجْلُ إلا حَيْثُ يَسْعَى بها القَلْبُ(٣)

إذا زُرْتَ أخاك سواءً أكانت الزيارةُ بدعوةٍ منه أو من تِلْقاءِ نفسِك فمِنْ مراعاةِ مشاعِرِهِ أنْ لا تقومَ من عِنْدِهِ حتىٰ تستأذِنَهُ.

فعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا زارَ أحدُكُم أخاه فجَلَسَ عنده فلا يقومَنَّ حتىٰ يَستأذِنَهُ»(٤).

قال الألبانيُّ رحمه الله: «وفي الحديثِ تَنْبِيهٌ علىٰ أدَبٍ رفيعٍ وهو أنَّ الزائرَ لا ينبغي أن يقومَ إلا بعد أنْ يستأذِنَ المَزُورَ، وقد أخَلَّ بهذا التوجيهِ النبويِّ الكريمِ كثيرٌ من الناسِ في بَعْضِ البلادِ العربيَّةِ فتَجِدُهم يخرجون من المجلسِ دونَ استئذانٍ وليسَ هذا فقط،

---

(١) (حسنٌ) أخرجهُ الترمذي (٢٠١٦)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «مختصرِ الشمائلِ» (٩٨)، و«المشكاةِ» (٥٨٢٠).

(٢) «المستطرفُ» (١٠٤).

(٣) «حَسَنُ ما سَمِعْتُ» (٢٤).

(٤) (صحيح) أخرجه الديلميُّ في مُسْنَدِ الفردوسِ (١٣٠)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٥٨٣).

بل وبدون سلامٍ - أيضًا -؛ وهذه مخالفةٌ أفاده الحديثُ الآتي: «إذا انتهى أحدُكم إلى المجلسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أرادَ أنْ يقومَ فَلْيُسلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُولَى بأحَقَّ من الآخِرَةِ»[1][2].

قال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

أخـي إنَّ لـي عُتْبـى عليـكَ حميـدةً ... فَخُذْها وإنْ أخطأتُ فهمَكَ فاعذرني

دخلـتَ علينـا دون إِذْنٍ ولـم تَقُـلْ ... سـلامٌ عليكم، وانْصَرَفْتَ بـلا إِذْنِ!!

---

(١) (حسن صحيح) أخرجهُ الترمذيُّ (٢٧٠٧)، وأبو داودَ (٥٢٠٨) وقال الألبانيُّ في «صحيحِ الترمذيِّ» (٢١٧٧): حَسَنٌ صحيحٌ.

(٢) «الصحيحةُ» (١/ ٢٠٤).

مَنْ يُراعَى مشاعِرُهم

١- النفسُ:

فنفسَكَ أكرِمْها، فإنَّكَ إنْ تَهُنْ عليكَ فلَنْ تلقى لك الدهرَ مُكرِما[١]

مراعاةُ المشاعِرِ مع النفسِ يكونُ بإكرامِها عن مجاراةِ السُّفهاءِ في أقوالِهم وأفعالِهم ومجالستِهم والبعدِ عن مواطنِ التُّهَمِ والرِّيَبِ ومجالسِ اللَّغْوِ، ومصاحبةِ السقاطِ الهَمَلِ.

وها هو الإسلامُ يحثُّ علىٰ الألفاظِ الطيبةِ مع النفسِ إعزازًا لها.

عن سهلِ بن حنيفٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يقولَنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكنْ لِيقُلْ: لقِسَتْ نفسي»**[٢].

والناظرُ يعلمُ أنَّ خَبُثَتْ ولقِسَتْ بمعنىٰ واحدٍ ولكنَّهُ كَرِهَ قُبْحَ اللَّفْظِ في خَبُثَتْ إعزازًا للنفسِ وإجلالًا لها؛ لأنَّ النفسَ إنْ رفعتَها ارتفعتْ وإنْ وضَعْتها اتَّضَعَتْ.

ومن مراعاةِ مشاعرِ النفسِ توقيرُها فلا تعملْ عَمَلًا يُشَارُ إليك بِهِ إشارةَ بتُهمةٍ أو مهانةٍ أو شُبْهَةٍ.

ومن نوابغِ الحِكَمِ: **«وَقِّرْ نَفْسَكَ تُهَبْ»**[٣].

وإذا لم توقِّرْ نفسَكَ بإنزالِها منزلتَها كأنْ تُجالِسَ كرامَ الناسِ ومطارحتِهم

---

(١) «ديوانُ حاتمِ الطائي» (٥٥).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٦١٨٠)، و«مسلمٌ» (٢٢٥١).

(٣) «مجمعُ الأمثالِ» (٢/ ٣٨٢).

الحديثَ والرأيَ والبُعدِ عن سَفَلَةِ الناسِ وسقاطِهم فمَنْ سيُكرِمُها وقد أهنْتَها.

قال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

لا تَلُمْنـــي إذا تجنَّبْـتُ قومًـا عيـشتي بيـنهم تجـارةُ مَكْـسِ

كيـفَ أرجـو صَـوْنَ المشاعِرِ للنا سِ إذا لـم أصُـنْ مشاعِرَ نفسي؟!

ولقد أحسنَ الذي يقولُ وهو زهيرُ بنُ أبي سُلْمَى:

ومَـنْ يَغْتـرِبْ يحسَبْ عـدوًّا صديقَهُ ومَـنْ لا يكـرِمْ نفسَهُ لا يُكَـرَّمِ

ومهمـا تكنْ عنـد امـرئٍ مـن خليقـةٍ وإنْ خالها تخفى على الناسِ تُعلَمِ[1]

ولا إهانةَ للنفسِ كالبُخْلِ ولا صيانةَ وإعزازًا لها أعظَمُ من الزُّهْدِ بما في أيدي الناسِ بل هو حقيقةُ الجُودِ ولُبُّهُ.

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فلِسانُ حالِ القَدَرِ يقولُ للفقيرِ الجوادِ: وإنْ لم أُعطِك ما تجودُ به على الناسِ، فجُدْ عليهم بزهدِك في أموالِهم، وما في أيديهم تَفَضَّلْ عليهم وتزاحِمْهم في الجودِ، وتنفردْ عنهم بالرَّاحَةِ»[2].

ويُعْجِبُني قولُ البُحتريِّ:

«صُـنْتُ نفـسي عَمَّـا يُـدَنِّسُ نفـسي وتَرَفَّعْتُ عن جَدا[3] كُلِّ جِبْسِ[4]»[5]

---

(١) «الأبياتُ من معلقتِهِ في ديوانِهِ» (٣٦ - ٣٧).

(٢) «مدارجُ السالكينَ» (٢/ ٢٨٢).

(٣) الجدا: العطاءُ.

(٤) الجِبْسُ: اللئيمُ.

(٥) «ديوانُ البحتريِّ» (٧٢).

٢- الوالدانِ:

عليــكَ بـبـرِّ الوالـــدين كِلَيهمــا ... وبِـرِّ ذوي القربـى وبِـرِّ الأباعِـدِ[١]

مراعاةُ مشاعرِ الوالدين من آكَدِ الحقوقِ ومن حُسْنِ الصُّحْبةِ ومن لم يُبالِ بمشاعرِ الوالدين فليس فيه خيرٌ لا لنفسِهِ ولا لِغَيْرِهِ وهل هناكَ عَمَلٌ بعدَ الصلاةِ أفضلُ من برِّ الوالدين؟!!

فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سألْتُ النبيَّ ﷺ أيُّ العملِ أحَبُّ إلىٰ اللهِ؟

قال: الصلاةُ علىٰ وقْتِها... قال: ثم أيُّ؟ قال: ثم بِرُّ الوالدين... قال: ثُمَّ أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ اللهِ...»[٢].

فأخبرَ ﷺ أن برَّ الوالدين أفْضَلُ الأعمالِ بعد الصلاةِ التي هي أعظمُ دعائمِ الإسلامِ ورتَّبَ ذلك بـ «ثُمَّ» التي تعطي الترتيبَ والمُهْلَةَ»[٣].

قال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

ولا تَقُــلْ لهُمـــا أُفٌّ وإنْ فَجَــرا ... فــإنَّ نُـــصحَهما بــاللِّينِ والأدبِ

واخْفِضْ جناحَكَ لا تجرَحْ شُعُورَهما ... أقــسى الجـروحِ بــأُمٍّ كــان أو بــأبِ

٣- الزوج:

فحسبكَ يـا بكـر العـلا مفخـرًا فقـد ... تزوجـت منـهُ بـالكرامِ الحلائـلِ[٤]

---

(١) «مجاني الأدبِ» لرزقِ الله شيخو (٣/ ٥٨).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٧٨٢)، و«مسلمٌ» (٨٥).

(٣) «الجامعُ لأحكامِ القرآنِ» للقرطبي (١٠/ ٢٣٨).

(٤) «ديوانُ ابن معتوقٍ» (٩٦).

علىٰ الزوجة أن تراعي مشاعر زوجها أتم مراعاة فحقه عليها من أعظم الحقوق.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الزوج علىٰ زوجته: لو كان به قُرْحَةٌ فلحستها، أو انتثر منخراهُ صديدًا أو دمًا ثُمَّ ابتلعَتْهُ ما أدت حَقَّهُ»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَصْلُحُ لبشرٍ أن يَسْجُدَ لِبَشرٍ، ولو صلح لبشرٍ أن يَسْجُدَ لبشرٍ لأمَرْتُ المرأة أن تسجد لزَوْجِهَا من عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْها» [والذِي نفسي بيدِهِ! لو كان من قدمِهِ إلىٰ مفرق رأسه قُرْحَةً تَنْبَجِسُ[2] بالقيح والصَّدِيدِ ثُمَّ استقبلته فَلَحَسَتْهُ ما أدت حقه]»[3].

قال أستاذنا عبد الكريم العماد:

يـا أَمَـةَ اللهِ حَـذارِ الفِتْنَـةْ ... زوجَـكِ بالطاعـةِ فالزَمِنَّـهْ

إنْ لـم تـصوني حَقَّـهُ والمِنَّـةْ ... فكيـفَ تـرْجِينَ دخـولَ الجنَّـةِ؟!!

٤- الزوجةُ:

وحفِظَتْنِـي حفـظَ الخليـلِ خليلَـهُ ... ووفَيْـتِ لـي بالعهـدِ والميثـاقِ[4]

---

(١) (حَسَنٌ صَحِيحٌ) أخرجهُ ابنُ حبَّانَ (٤١٥٢)، وقال الألبانِي في «صحيحِ الترغيبِ» (١٩٤٣): حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) تنبجسُ: أي: تنفجرُ وتنبعُ.

(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ النسائيُّ (٩١٤٧)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٧٢٥)، وأخرجهُ أحمدُ مع الزيادةِ ما بين المَعْقوفينِ (١٢٦٥٣) وقال شُعيبٌ: صحيحٌ لغيرهِ دونَ قولهِ: «والذي نفسي بيدهِ، لو كان مَنْ قَدَّمَهُ...».

(٤) «معجم الأدباء» (٢/ ٦١٢).

علىٰ الزوجِ أن يُراعيَ مشاعرَ زوجتِهِ علىٰ كُلِّ حالٍ فإنَّ هذا من أعظمِ أسبابِ دوامِ العِشرةِ بينهما ويتأكدُ مراعاةُ مشاعِرِها وقتَ مرضِها سيَّما أوقاتَ الحيضِ، والنفاسِ، وبدايةِ الوحمِ ومرحلةِ الحَمْلِ والولادةِ، لأنَّ ذلك يسببُ التقلُّباتِ المزاجيةَ عند المرأةِ مما قد يسببُ بعضَ المشاكلِ، وكرامُ الناسِ يراعون هذا الحقَّ، بل إن بعضَهم قد يكونُ مع زوجتِهِ علىٰ جمرِ الغضا فلا يُظهِرُ لها مثقالَ ذرةٍ مما في نفسِهِ مراعاةً لمشاعرِها!!

وجميلٌ أن يُراعيَ مشاعرَها في أهلِها باحترامِهِم وتقديرِهم وإكرامِهم وزيارتهم وإكرامِ كُلِّ مَنْ يتَّصِلُ بهم.

وكثيرٌ من المشاكِلِ الزوجيةِ إنما تنشأُ من التقصيرِ في مراعاةِ المشاعرِ.

قال الشاعرُ يصفُ زوجَين كُلُّ واحدٍ منهما يراعي مشاعرَ الآخَرِ[1]:

وإلفَيْنِ كالغُصنين ضمَّهما الهوى ... فروحُهما روحٌ وقلبُهما قلبُ

وإنْ غابَ هذا ساعةً عن خليلِهِ ... تجلَّاه يومًا، عند فراقتِهِ كَرْبُ

فيا مَنْ رأى إلفَيْنِ صانا هواهما ... فهذا بذا صبٌّ وهذا بذا صبُّ[2]

وقال آخر:

روحُها روحي، وروحي روحُها ... ولها قلبٌ وقلبي قلبُها

---

(١) قد يَسَّرَ اللهُ لي - وله الحَمْدُ - تأليفَ كتابٍ يحافظُ علىٰ مشاعرِ الزَّوجَين، وسمَّيتُهُ «دفءُ المشاعرِ في الحياةِ الزوجيةِ» وهو مطبوعٌ متداولٌ.

(٢) «المُوَشَّىٰ» لأبي الطيبِ الوَشَّاءِ (٣١).

فلنــــا روحٌ وقلــــبٌ واحــــدٌ ... حَسْبُها حَسْبي وحَسْبي حَسْبُها[1]

وقال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظه اللهُ - يَصِفُ زوجةً لا تُراعي مشاعِرَ زوجِها:

ظَــنٌّ يُـــدَمِّرُها ووَهْــمٌ هَــدَّها ... وعلــى أدَقِّ التافهــاتِ تَثُــورُ!!!

أُغْــضِي كــأنِّي مــا سـمِعْتُ كلامَهــا ... وحروفُهــا وَسْــطَ الفــؤادِ جُمــورُ

دِرْعــي إذا امْتَشَقَتْ علــيَّ لـسـانَها ... صَبْري عليهــا، والكـريمُ صَـبورُ

صَـوني مـشاعرَها المـصونةَ واجـبٌ ... وأَجَـلُّ مـا صـانَ الكـريمُ شـعورُ

٥- البَناتُ والأخَواتُ:

لقــد زادَ الحيــاةَ إلـــيَّ حبًّـــا ... بنــاتي إنَّهُــنَّ مــن الـضِّعافِ[2]

البناتُ والأخواتُ أشَدُّ حساسيَّةً من الأولادِ والإخوان فهنَّ بحاجةٍ لمراعاةِ مشاعِرِهِنَّ بشَكْلٍ أدَقَّ فيدأُ بِهِنَّ في العَطاءِ والتقبيلِ والتشجيعِ والاستشارةِ ويتجنَّبُ كُلَّ ما يجرحُ مشاعِرَهُنَّ من قولٍ أو فعلٍ، وكرامُ الناسِ يُراعون هذا الحَقَّ لهُنَّ ولئامُ الناسِ يتَّصفون بصفاتِ أهْلِ الجاهليةِ إذا بُشِّرَ أحدُهم بالأُنثى رأيتَ أمارةَ الحُزْنِ على وجْهِهِ لائحة.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩].

ألم يعلَمْ أولئكَ أنَّ النبيَّ ﷺ خَصَّ البناتِ والأخواتِ بمزيدِ وصايةٍ فقال: «من

---

(١) «المرجعُ السابقُ» (٣٢).

(٢) «عيونُ الأخبارِ» (٢/ ١١٠).

يلي من هذه البنات شيئًا، فأحسنَ إليهنَّ، كُنَّ له سترًا من النارِ»(١).

وبَشَّرَ بالجنَّةِ من أحسَنَ عنايتَهُنَّ فقال: «من كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخواتٍ أو بنتانِ أو أختانِ فأحسَنَ صحبتَهُنَّ واتقىٰ الله فيهِنَّ دخلَ الجنَّةَ»(٢).

ورغَّبَ النبيُّ ﷺ في محبَّتِهِنَّ فيقولُ: «لا تُكْرِهوا البناتِ، فإنَّهُنَّ المؤنساتُ الغالياتُ»(٣).

ففي الحديثِ النهيُ عن كُرْهِ البناتِ كما كانت الجاهليةُ تُكْرِهُهُنَّ فإنَّهُنَّ المؤنساتُ للآباءِ والأمهاتِ الغالياتِ في الأُجورِ لِمَنْ كَفِلَهُنَّ.

قال الألوسيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «المعهودُ من ذوي المروءةِ جَبْرُ قلوبِ النساءِ لضَعْفِهِنَّ، ولذا يُنْدَبُ للرَّجُلِ إذا أعطىٰ شيئًا لولدِهِ أنْ يبدأ بأُنثاهم»(٤).

ومن أجملِ ما قِيلَ في الحُنُوِّ علىٰ البناتِ:

لـــــولا بنـــــاتي وســـــيئاتي ... لَطِـــرْتُ شـــوقًا إلـــى المَمَـــاتِ
لأنَّنـــــي في جـــــوارِ قـــــومٍ ... بَغَّـــضَني قُـــرْبُهُمْ حيـــاتي(٥)

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

ابـــــدأ ببنْتِـــــكَ في الثَّنـــــا ... وابـــــدأ بهـــــا عنـــــد العَطَـــــاءِ

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٥٩٩٥)، و«مسلمٌ» (٢٦٢٩).

(٢) (حسَنٌ) أخرجهُ ابنُ حبانَ في «صحيحِهِ» (٤٤٦) وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٢٩٤).

(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (١٦٩٢٢)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٣٢٠٦) بعد أن كان قد ضَعَّفَهُ في «ضعيفِ الجامعِ» (٦٢٦٨). ثم تراجعَ عن تضعيفِهِ.

(٤) «رُوحُ المعاني» (٨/ ٣٦).

(٥) «مُعْجَمُ الأدباءِ» (٦/ ٢٧٢٤).

وارفـــعْ لبنْتِــــكَ رأسَـــها وأَعِزَّهـــا بـــين النـــساءِ

واجعـــلْ لأختـــكَ قيمـــةً تعلـــو علـــى نجـــم الـــسماءِ

إنَّ المـــشاعرَ في النـــسا ءِ أرقُّ مـــن لَمْـــسِ الهـــواءِ

٦- الأقاربُ:

وقلــتُ أخٌ قــالوا أخٌ مــن قرابــةٍ فقلــتُ لهــم إنَّ الــشُّكولَ أقــاربُ[1]

مَنْ أحَبَّ أنْ يدومَ له أقاربُهُ علىٰ ما يُحبُّ فلْيَدُمْ لهم علىٰ ما يُحبُّون وأعظمُ من ذلك مراعاةُ مشاعرِهم وقد ضَرَبَ نبيُّ اللهِ يوسُفُ - عليه الصلاةُ والسلامُ - مثالًا رائعًا في مراعاتِهِ لمشاعرِ إخوانِهِ وهو في عِزِّ السُّلطانِ والمُلْكِ، وهم بين يَدَيْ نعمتِهِ محتاجون إليه بعد الذي جرىٰ منهم فإنَّه - عليه الصلاةُ والسلامُ - كما قال اللهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسُفُ: ١٠٠].

فذكر أذيَّةَ العزيزِ له بِسَجْنِهِ، ولم يذكرْ أذيَّتَهم له بإلقائِهِ في الجُبِّ، وقال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ فلم يقلْ: جاءتْ بكم الحاجةُ والفقرُ إليَّ، وقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ فذكرَ السببَ وهو الشيطانُ ولم يذكر الفاعِلَ المباشِرَ وهم إخوتُهُ.

وعليه فمشاعِرُ الأقاربِ كالهشيم قابلةٌ للاشتعالِ في أيِّ لحظةٍ بخلافِ غيرِهم كما

(١) «المُنْتَحَلُ» للثعالبي (٢٤٤).

قال طرفةُ بنُ العبدِ:

وظُلْمُ ذوي القربى أَشَدُّ مضاضةً   على المَرْءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ[(١)]

٧- الجار:

أمازِنُ يا ابنَ كَعْبٍ، إنَّ قلبي   لكم طولَ الحياةِ لغيرُ قالي

غَطَارِيفٌ يبيتُ الجارُ فيهم   قريرَ العينِ في أهلٍ ومالِ[(٢)]

الجارُ له حَقٌّ عظيمٌ والوصِيَّةُ به متكاثرةٌ ومراعاةُ مشاعِرِه من آكَدِ الحقوقِ وفي وقتنا يعيشُ الجيرانُ لفترة من الزمنِ ولا أَحَدَ يعرفُ اسْمَ الآخَرِ إلا مَنْ رَحِمَ ربُّك فضلًا عن معرفةِ الحقوقِ والقيامِ بعُشْرِها فضلًا عن بَعْضِها، وبعضُهم يتعارفون وتكونُ الحقوقُ جروحًا للمشاعِرِ فيُعَيِّرُ أحدُهما الآخَرَ - تصريحًا أو تلميحًا - بالقِلَّةِ أو العَيْلَةِ أو الدُّنُوِّ الاجتماعيِّ وقد يأتي الجارُ يشكو لجارِهِ إيذاءَ أطفالِهِ أو وَضْعَ القمامةِ في بابِهِ أو إيقافَ سيارتِهِ في مكانٍ يضايقُهُ وما إلىٰ ذلك فلا يُحرِّكُ الآخَرُ ساكِنًا فضلًا عن نسيانِهِ إذا سافَرَ، وتَرْكِ السؤالِ عنه وعمَّن تَرَكَ من الأهلِ والولَدِ وهَلُمَّ جرًّا[(٣)].

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «مَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ جارَهُ»[(٤)].

---

(١) «المعلقاتُ العَشْرُ» (٨/ ٥).

(٢) «دواوينُ الشعرِ العربيِّ» (١٣/ ٢٩٨).

(٣) انظر- غير مأمورٍ- كتابي: «حسن الجوار...خلق الأبرار» ففيه آيات وأحاديث ومواقف وعبر نقرته لطنّ.

يغنيك عَنْ سلمى وعن دهانها   ونقطة الوجه بزعفرانيها

(٤) «رواهُ مسلمٌ» (٤٧).

أي: «من التزمَ شرائعَ الإسلامِ لَزِمَهُ إكرامُ جارِهِ»[١].

وقد كان أهلُ الجاهليةِ يُراعون مشاعِرَ الجارِ ويحترمون شخصيَّتَهُ وجاء الإسلامُ متمِّمًا لتلك المكارمِ فضَرَبَ لنا السَّلَفُ أروعَ الأمثلةِ في مراعاةِ مشاعِرِ الجارِ.

قال أحدهم:

إني حمدتُ بني شيبانَ إذْ خَمَدَتْ ... نيرانُ قومي وشبَّتْ فيهمُ النارُ

ومن تكرُّمِهِمْ في المَحَلِّ أنَّهُمُ ... لا يعرفُ الجارُ فيهم أنَّه جارُ

حتى يكونَ عزيزًا من نفوسِهِمُ ... أو أنْ يبينَ جميعًا وهو مختارُ

كأنه صَدَعٌ في رأسِ شاهقةٍ ... من دونِهِ لِعِتاقِ الطيرِ أوكارُ[٢]

وَلْيَحْذَرِ المرءُ كُلَّ الحَذَرِ من إيذاءِ الجارِ فإنَّ ذلكَ من أعظمِ الجروحِ لمشاعِرِهِ.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ**[٣] **من لا يأمَنُ جارُهُ بوائِقَهُ**[٤]»[٥].

وعن أبي شريحٍ الخزاعيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**واللهِ لا يُؤْمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ**[٦]» قيل: ومَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بوائِقَهُ**»[٧].

---

(١) «شَرْحُ النَّوَوِي على مُسْلِمٍ» (٢/ ١٨).

(٢) «أماليُّ القالي» (٤١).

(٣) قولُهُ: لا يدخُلُ الجَنَّةَ المقصودُ أنَّهُ لا يدخُلُ الجَنَّةَ مع أولِ الداخلين، وإنما يُؤَخَّرُ حتى يُجازَى.

(٤) بوائِقَهُ: البوائِقُ جَمْعُ بائقةٍ، وهي الدَّاهيةُ، والشَّيءُ المُهلِكُ الشديدُ، والمقصودُ: أنَّهُ لا يأمَنُ ظلمَهُ وتَعَدِّيَهِ.

(٥) «رواهُ مسلمٌ» (٤٦).

(٦) لا يُؤْمِنُ: المقصودُ به الإيمانُ الكاملُ.

(٧) «رواهُ البخاريُّ» (٦٠١٦).

فَدَلَّ الحديثُ علىٰ تعظيمِ حَقِّ الجارِ، حيثُ أفادَ نَفْيَ دخولِ الجَنَّةِ والإيمانِ كذلك لِمَنْ لا يأمَنُ جارُهُ بوائِقَهُ.

ويعجبُني قولُ حاتِمِ الطائيِّ:

إذا كانَ لي شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ ... فإنَّ لجاري منهما ما تَخَيَّرا

وفي واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ ... أراهُ لَهُ أَهْلًا إذا كانَ معسرا(١)

قال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

أتىٰ ليشكوَ جارًا قُلْتُ: كُفَّ أذًىٰ ... فإنَّما أنتَ بالشَّكوى تُؤاذِيهِ

اصبِرْ عليه ولا تَفْضَحْهُ مُنتَقِمًا ... وانصَحْهُ باللُّطفِ عَلَّ اللهَ يَهديهِ

٨- الشيوخُ والمُعَلِّمون:

أبىٰ اللهُ إلَّا عَدْلَهُ ووفاءَهُ ... فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرْفُ ضائعُ(٢)

الشيوخُ والمعلمونَ حقوقُهم علىٰ تلاميذِهم عظيمةٌ ومن حقوقِهم مراعاةُ مشاعِرِهم بالذَّبِّ عنهم في الغيبِ والمَشْهَدِ حتىٰ بعد موتِهم وكرامُ الناسِ يراعون لهم هذا الحَقَّ ولئامُ الناسِ بالضِّدِّ من ذلك تراهم يُشيعون الهَفَواتِ ويَتَّبِعون العَثَراتِ ويدفِنون الحسناتِ وقد نعىٰ العلماءُ إلينا حالَهم.

قال الصنعانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لُؤمُ الطلبةِ وخبيثُ الحُضَّارِ عند العالِمِ: مُتتبعُ العَثَراتِ، وكاشِفُ العوراتِ، ودافِنُ الحَسَناتِ! وما أكثَرَ هذا الضربَ - لا كَثَّرَهم اللهُ - فإنهم

---

(١) «التذكرةُ الحمدونيةُ» (٧/ ٢٥٠).

(٢) «أشعارُ الشعراءِ الجاهليِّينَ» (٣٤).

الذين أفسدوا معالمَ العلمِ! فملئوا المواقفَ على العلماءِ أحاديثَ كاذبةً... وبئس الجزاءُ أنْ يُجازيَ التلميذُ شيوخَهُ بإشاعةِ هَفَواتِهم وزلّاتِهم؛ فإنَّه لا بُدَّ لكُلِّ جوادٍ من كبوةٍ، ولكُلِّ صارمٍ من نَبْوَةٍ:

وَمَنْ ذا الذي تُرضَى سجاياهُ كُلُّها ... كفى المرءَ نبلًا أن تُعَدَّ معايبُهُ

فخيرُ الناسِ من أشاعَ الخيْرَ عن العلماءِ وأذاعَهُ، ودافَعَ عنهم إنْ سَمِعَ قادحًا فيهم[1].

مَضَوا وكأنَّ المكرماتِ لديهِمُ ... لكَثْرَةِ ما أوصَوا بِهِنَّ شرائِعُ

هم استودعوا المعروفَ محفوظَ مالِنا ... فضاعَ وما ضاعَتْ لدينا الودائِعُ[2]

وقال أستاذُنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

أتشكُرُ مَن أعطاكَ من كفِّهِ جِدًا ... وتَنْسَى الذي أعطاك من قَلْبِهِ عِلما؟!!

حنانَيكَ - عبدَ اللهِ - فاشكرْ كليهما ... ولكنَّ مَنْ أعطاكَ علمًا هو الأسْمى

٩- الإخوانُ:

ألا إنَّ إخوانَ الصفاءِ قليلُ ... فهلْ إلى ذاكَ القليلِ سبيلُ؟؟[3]

الإخوانُ لهم حقوقٌ جمَّةٌ ولعلَّ من أهَمِّ الحقوقِ مراعاةَ المشاعرِ واحترامَها، وتأمَّلْ إلىٰ قصةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه مع بعضِ إخوانِه، فحينَ مَرَّ عليهم أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ رضي الله عنه في هُدْنةِ صُلحِ الحديبيةِ قبلَ إسلامِهِ علىٰ سَلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ، فأرادوا أن يسمعوه قولًا

---

(١) «التنويرُ بشرحِ الجامعِ الصغيرِ» حديثُ رَقْمُ (٨١٢٠).

(٢) «التذكرةُ السعديةُ» (١٩).

(٣) «الصداقةُ والصديقُ» (١٣٠).

يَغيظُهُ، فقالوا: واللهِ ما أخذَتْ سيوفُ اللهِ من عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مأخذَها فاستنكرَ عليهم أبو بكرٍ ما قالوا، وقال لهم: أتقولون هذا لشَيْخِ قريشٍ وسيِّدِهم؟ وذهَبَ أبو بكرٍ فأخبرَ النبيَّ ﷺ بما جرىٰ، فكان أولَ أمْرٍ أهمَّ النبيَّ ﷺ أن يَسْألَ عن مشاعِرِهم تِجاهَ ما صَدَرَ من أبي بكرٍ، فقال له: يا أبا بكرٍ! لعلَّكَ أغضَبْتَهُمْ؟ لئنْ كُنْتَ أغضَبْتَهُمْ، لقد أغْضَبْتَ ربَّكَ، فأتاهم أبو بكرٍ يسترْضيهم، يا إخوتاه! أغْضَبْتُكُم؟ قالوا: لا، يغفرُ اللهُ لكَ».

ومن أعمِ مراعاةِ مشاعِرِ الإخوانِ مراعاةُ النبيِّ ﷺ لمشاعِرَ أصحابِهِ وذِكْرُ ذلك يحتاجُ إلىٰ أسْفارٍ.

وسأقتصرُ علىٰ ذِكْرِ أعْجَبِ صُوَرِ مراعاتِهِ ﷺ لمشاعِرِهم حتىٰ وهو نائمٌ فقد راعىٰ مشاعِرَ عُمَرَ رضي الله عنه وهو في المنامِ فقال ﷺ وهو يَقُصُّ علىٰ أصحابِهِ رؤياهُ كما جاء عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُني دخلْتُ الجنَّةَ فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمِعتُ خشفةً فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: هذا بلالٌ: ورأيتُ قَصْرًا بفنائِهِ جاريةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هذا؟ فقال: لِعُمَرَ، فأردْتُ أنْ أدْخُلَهُ فأنْظُرَ إليه فذكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فقال عُمَرُ: بأبي وأمي يا رسولَ اللهِ أعليك أغارُ»[1].

ويعجبني قول أبي تمام في الثناء علىٰ الإخوان:

ذُو الـوُدِّ مِنِّـي وذُو القُرْبَـى بمنزلـةٍ	وإخـوتي أسـوة عنـدي فـإخواني
عـصابةٌ جـاورت آدابُهُـمْ أَدَبِـي	فَهُـمْ وإنْ فُرِّقُـوا في الأَرْضِ جِيـراني
أرواحُنـا فِي مكـانٍ واحـدٍ، وغَـدَتْ	أَبْـدانُنا بـشَآمٍ أو خراسـانِ[2]

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٣٦٧٩)، و«مسلمٌ» (٢٣٩٤).

(٢) «أحْسَنُ ما سَمِعْتُ» (١٨).

١٠- الشباب:

وشرخُ شبابٍ قد تضوّتْ جديدةُ … كما جُرِّدَ السيفُ اليماني من الغِمْدِ[(١)]

الشبابُ يَحسُنُ مراعاةُ مشاعِرِهم؛ لأنهم كُتْلَةٌ من المشاعِرِ، والصبرُ عندهم يختلفُ عن غيرِهم من الشيوخِ؛ فكلمةٌ صغيرةٌ جارحةٌ قد لا يتحمَّلونَها كما خَبِرْنا وبلَوْنا، وكان النبيُّ ﷺ يراعي مشاعِرَ الشبابِ أتمَّ مراعاةٍ، وسَرْدُ المواقِفِ يحتاجُ إلىٰ سِفْرٍ من الأسفارِ لكنْ يكفي من الزَّادِ ما يُبَلِّغُ المَحَلَّ.

فعن مالِكِ بنِ الحويرثِ رضي الله عنه قال: أتينا النبيَّ ﷺ ونحنُ شببةٌ متقاربون فأقمْنا عنده عشرين يومًا وليلةً، وكان رسولُ اللهِ ﷺ رحيمًا رفيقًا فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهَيْنا أهلَنا - أو قد اشتقْنا - سألَنا عمَّنْ تَرَكْنا بعدنا فأخبرناه قال: ارجعوا إلىٰ أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومُرُوهم...»[(٢)].

فإذا كان لديك شبابٌ في عَمَلٍ أو طلبِ العلمِ أو جهادٍ أو نحوِ ذلك فراعِ مشاعِرَهم كما كان النبيُّ ﷺ يفعلُ.

وحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم … مآربُ قَضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذَكَروا أوطانَهم ذكَّرَتْهُمُ … عهودُ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلكا[(٣)]

١١- الأطفالُ:

للهِ ما ضَيَّقْتُهُ مِنَ الشَّجَرْ … أطفالِ غَرْسٍ تُرْتَجىٰ وتُنْتَظَرْ[(٤)]

---

(١) «الأملُ والمأمولُ» للجاحظِ (١٣).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٦٢٨)، و«مسلمٌ» (٦٧٤).

(٣) «أحسَنُ ما سَمِعْتُ» (٥٥).

(٤) «أشعارُ أولادِ الخلفاءِ» (٢٦١).

مراعاةُ مشاعِرِ الأطفالِ لا يقومُ به إلا النبلاءُ من الرجالِ أصحابُ القلوبِ الرحيمةِ والهِمَمِ العاليةِ.

فانظرْ إلىٰ أعظَمِ وأكرمِ رَجُلٍ: يَقْعُدُ طفلٌ علىٰ ظهرِهِ وهو ساجدٌ فلا يرفَعُ رأسَهُ يقول: «**كرِهْتُ أَنْ أعْجَلَهُ**»(١).

وحثَّ علىٰ الرحمةِ بالأطفالِ والشفقةِ عليهم فقال: «**مَنْ لم يرحَمْ صغيرَنا ويعرفْ حَقَّ كبيرِنا فليس مِنَّا**»(٢).

ويبدؤهم بالسلامِ حبًّا لهم ورفقًا بهم وتلطُّفًا معهم.

قال أنسٌ رضي الله عنه: «أتىٰ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ غلمانٍ يلعبون فسلَّم عليهم»(٣).

ويأتي الحَسَنُ والحُسَينُ يَعْثُرانِ في قميصِهما وهو يخطُبُ فيقطعُ الخطبةَ وينزلُ يحملُهما ثم يعودُ إلىٰ المنبرِ ثم يقولُ: «**صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥]. **رأيتُ هذينِ يَعثرانِ في قميصِهما، فلم أصبرْ حتىٰ قطعْتُ كلامي فحملتُهما**»(٤).

ويستخدمُ العباراتِ الرقيقةَ في محادثتِهم مراعاةً لمشاعِرِهم فتارةً ينادي الصبيَّ فيقولُ: «**يا غلامُ، إني أُعَلِّمُك كلماتٍ**»(٥).

---

(١) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (١٦١٢٩) والنسائيُّ (٢/ ٢٢٩)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ النسائي» (١١٩٣).

(٢) (صحيحٌ) أخرجهُ البخاريُّ في (الأدبِ المُفْرَدِ)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٦٥٤٠) عن عبد اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ أبو داودَ (٥٢٠٢)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الكَلِمِ الطَّيِّبِ» (٢٠١).

(٤) (صحيحٌ) أخرجهُ أبو داودَ (١١٠٩)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٣٧٥٧).

(٥) (صحيحٌ) أخرجهُ الترمذيُّ في سُنَنِهِ (٢٥١٦)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٩٥٧).

و: «يا غلامُ سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينك»[١].

وتارةً يناديهِ بقولِهِ: «يا بنيَّ»، كما قال لأنسٍ لما نزلَتْ آيةُ الحجابِ: «وراءَكَ يا بُنَيَّ»[٢].

وقال عن أبناءِ جعفرَ بنِ أبي طالبٍ: «ادعوا لي بَنِيَّ أَخِي»[٣].

وتارةً يناديهم بالكُنْيةِ، فيقولُ للطفلِ الصغيرِ: «يا أبا عُميرٍ»[٤].

ومن جميلِ ما قيل في الطفلِ قولُ القاضي الفاضلِ عبد الرحيم البيسانيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

طفـــلٌ كفـــاهُ القلـــبُ دارًا لَـــهُ ... كأنمـــا القلـــبُ لـــه قالَـــبُ

كيوسُـفِ الحُسْنِ وقلبـي لَـهُ ... سـجنٌ ومـا ثَـمَّ لـه صـاحبُ

قـد أصبحَ القلـبُ لباسًـا لَـهُ ... لا قاصِـرٌ عنـه ولا سـاحِبُ[٥]

وقالت سُعادُ بِنْتُ مَحْمُودٍ نَخْلَةَ عن الطفل:

هــو زِينَــةُ الــدُّنْيَا وَبَـسْمَتُهَا بِـهِ ... هُـوَ حَبَّـةُ القَلْـبِ ارْتَـوَتْ بِرِضَـابِهِ

طِفْلِـي صَـبَاحَةُ صُـبْحِنَا ونَـسِيمُهُ ... عُـصْفُورُنَا الـشَّادِي بِرُطْـبِ عِذَابِـهِ[٦]

وقال بَدَوِيُّ الْجَبَل:

يَـزُفُّ لَنَـا الأعيَـادَ عِيـدًا إذا خَطَـا ... وَعِيـدًا إذا نَـاغَى وَعِيـدًا إذا حَبَـا

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٥٣٧٦) و«مسلمٌ» (٢٠٢٢).
(٢) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (١٩٥٨)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٢٩٥٧).
(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (١٧٥٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «أحكامِ الجنائزِ» (ص١٦٦).
(٤) «رواهُ البخاريُّ» (٦١٢٩).
(٥) «بدائعُ البدائهِ» (٢٢٨).
(٦) انْظُرْ كتابَ: «حياةُ الطُّهرِ» لابنتي العزيزةِ أمةِ الرحمنِ بنْتِ فيصلِ الحاشدي - حَفِظَهَا اللهُ وباركَ فيها - (١٤٣).

كَرُغْبِ القَطا لَوْ أنَّهُ رَاحَ صَادِيًا سَكَبْتُ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيَشْرَبا

وأُثِرَ أن يُرْوَى وَيَشْبَعُ ناعِمًا وأظمأَ في النُّعْمَى عَلَيْهِ وأَسْغَبَا[١]

١٢- الجُلَسَاء:

ربَّما يَثْقُلُ الجَلِيسُ وإنْ كا نَ خفيفًا في كَفَّةِ الميزانِ[٢]

يا لله، كَمْ نرىٰ ونسمعُ ونحس بعَدَمِ مراعاةِ المشاعِرِ في المجالسِ وإنما يحصُلُ ذلك وربَّما يعظُمُ مع وجودِ الثقلاءِ أراحَ اللهُ العبادَ والبلادَ منهم.

ورحم اللهُ مسارقَ الوراقَ القائِلَ: «إنما تطيبُ المجالِسُ بخفَّةِ الجُلَسَاءِ»[٣].

وقال حمَّادُ بن زيدٍ حدَّثني رَجُلٌ من الأعرابِ قال: «كان عمِّي إذا رأى ثقيلًا غُشِيَ عليه»[٤].

وقال شِبْرِمَةُ:

«ومن الناسِ من يَخِفُّ ومنهم كرحَى البَدْرِ راكبٌ فوقَ ظَهري»[٥]

وقال جبريلُ – مُتَطَبِّبٌ كان بالشامِ –: «نَجِدُ في كُتُبِنا أنَّ مجالسةَ الثقيلِ حُمَّىٰ الروحِ»[٦].

فإذا رأيتَ في المجالسِ من لا يُراعي مشاعِرَ إخوانِهِ فتحوَّلْ عنه قبل أنْ يُحَوِّلَ

---

(١) المرجعُ السابقُ (١٤٠).

(٢) «أماليُّ القالي» (٢/ ١٠٧).

(٣) «أخبارُ الثقلاءِ» للخلالِ (١٨).

(٤) «المرجعُ السابقُ» (١٦).

(٥) «المرجعُ السابقُ» (١٧).

(٦) «المرجعُ السابقُ» (١٨).

رأسَكَ إلى قفاك.

قال ابنُ شهابٍ: «إذا ثَقُلَ عليك الجليسُ فاصْبِرْ؛ فإنها رَبْطَةٌ في سبيلِ اللهِ، فإذا أبرَمَك وملَّك بحديثِهِ؛ فجاهِدْ بقيامِهِ عنك أو بقيامِك عنه»[1].

وقال أحَدُ الشعراءِ:

ثقيلٌ بطالِعِنا من أَمَمْ ... إذا سَرَّهُ رَغْمَ أنفي أَلَمْ

أقولُ لَهُ إذْ أتى لا أتى ... ولا حَمَلَتْهُ إلينا قَدَمْ

عدِمْتَ خيالَكَ لا من عَمًى ... وسَمْعَ كلامِكَ لا من صَمَمْ

تَغَطَّ بما شِئْتَ عن ناظري ... ولو بالرداءِ بهِ فالتثِمْ

لَنَظْرَتُهُ وخزةٌ في القلوب ... كوَخزِ المحاجِمِ في الملتزَمْ[2]

وقال أستاذنا عبد الكريم العماد - حفظه الله -:

إذا دَخَلَ الثقيلُ على أُناس ... فصَوْنٌ للمشاعِرِ أنْ يقوموا

فإنْ رَتَعوا فمَرْتَعُهُم وخيمٌ ... وإنْ صاموا فذلِكَ لا يصومُ

١٣- جماعَةُ المسجِدِ:

إنَّهُ المسجدُ الذي سوفَ يحدو ... من يريدُ الهدى لخيرِ مآلِ[3]

الإمامُ أو الخطيبُ أو الداعيةُ يراعي مشاعِرَ جماعةِ المسجدِ ويتلطَّفُ بهم ما استطاعَ

---

(١) «المرجعُ السابقُ» (٢٢).

(٢) «أماليُّ القالي» (٢/ ١٠٦).

(٣) «ديوانُ ابن سحنون» (٢/ ٣٠٦).

ويتحملُ ما قد يصدرُ من بعضِهم بسَعَةِ صَدْرٍ؛ فمَنْ يأمُرُ بالمعروفِ وينهىٰ عن المنكرِ لا بُدَّ لَهُ أنْ يتحلَّىٰ بالصبرِ قال اللهُ ﷻ عن لقمانَ أنه قال لابنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

واعْلَمْ أنَّه مهما اشتدَّتِ الخُطُوبُ فإنها موصولةٌ بفَرَجٍ وقد قيلَ:

واصبرْ على غِيَرِ الزَّمانِ فإنَّما ... فَرَجُ الشدائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقالِ[1]

وجميلٌ أنْ تكون كتابًا مفتوحًا عنوانُهُ «مكارمُ الأخلاقِ» يقرأُ الناسُ فيه الدِّينَ الحَقَّ الذي جاءَ به نبيُّنا محمدٌ ﷺ.

وقد قال ربُّنا ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة: ٢٤].

ومن مراعاةِ المشاعِرِ عَدَمُ إيذاءِ المصَلِّين بأيِّ رائحةٍ كريهةٍ كالبَصَلِ أو الثومِ أو الكُرَّاثِ.

فعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«من أكَلَ من هذِهِ الشجرةِ (يعني الثومَ) فلا يقربَنَّ مسجدَنا»**[2].

وعن جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: نهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عن أكْلِ البَصَلِ والكُرَّاثِ، فغلَبَتْنا الحاجَةُ فأكَلْنا منها، فقال: **«من أكَلَ من هذه الشجرةِ المُنْتِنَةِ فلا يقربَنَّ مسجدَنا فإنَّ الملائكةَ تتأذَّىٰ مما يتأذَّىٰ منه ابنُ آدمَ»**[3].

ويُقاسُ علىٰ البصلِ والثومِ كُلُّ ما لَهُ رائحةٌ كريهةٌ كالدُّخانِ أو الزيوتِ من كان يشتغلُ في وُرَشٍ أو رائحةُ العَرَقِ الشديدِ.

---

(١) «الآدابُ النافعةُ» (٣١).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٨٥٣)، و«مسلمٌ» (٥٦١).

(٣) «رواهُ مسلمٌ» (١٢٥٢).

ويدخُلُ في مراعاةِ المشاعِرِ عَدَمُ إيذاءِ الغَيرِ بصَوتٍ مرتفعٍ كَرَنَّةِ جَوَّالٍ وحتىٰ لو كان بذِكرِ اللهِ أو قراءةِ قرآنٍ؛ لحديثِ: **«ألا كلُّكم مُنَاجٍ ربَّهُ، فلا يُؤْذِيَنَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفَعْ بعضُكُمْ علىٰ بَعْضٍ في القراءةِ»**[١].

وحديثِ: **«لا يجهرْ بعضُكم علىٰ بَعْضٍ بالقرآنِ»**[٢].

فإن عيرتهم بالنتن قالوا ... كذا نكهاتُ أفواه القُروم

فسوء الفعل يردف سوء قولٍ ... ونَتْنُ الثوم يردف نتن لومِ[٣]

١٤- الحييُّ: (أي: شديدُ الحياء):

وإني لتنهاني خلائقُ أربعٌ ... عن الفُحْشِ فيها للكريمِ روادعُ

حياءٌ وإسلامٌ وشيبٌ وعفةٌ ... وما المرءُ إلا ما حَبَتْهُ الطبائعُ[٤]

الحَيِيُّ هو الرجُلُ المستحْيِي الذي ينقطعُ بحيائِهِ عمَّا لا يَحْسُنُ ولا يجمُلُ وقد يبلغُ به أنه يمنَعُهُ أنْ يبلغَ حاجتَهُ فمِثْلُ هذا تُراعىٰ مشاعِرُهُ وتُقضىٰ له حاجَتُهُ إن كانت له حاجةٌ، وقد كان النبيُّ ﷺ يراعي مشاعِرَ الحَيِيِّ فعن عائشةَ وعثمانَ رضي الله عنهما أنَّ أبا بكرٍ استأذَنَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وهو مضطجعٌ علىٰ فراشِهِ، لابسٌ مرطَ عائشةَ[٥] فأذِنَ لأبي بكرٍ وهو كذلك فقضىٰ إليه حاجَتَهُ ثم انْصرفَ، ثم استأذَنَ عُمَرُ فأذِنَ له

---

(١) (صحيحٌ) «رواهُ أبو داودَ» (٢/ ٧٣) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٥٢).

(٢) (صحيحٌ) «رواهُ أحمدُ» (٢/ ٣٦) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (١٩٥١).

(٣) «دواوينُ الشعرِ العربيِّ» (٧٥/ ٦٥).

(٤) «أماليُّ القالي» (٢/ ١٣٧).

(٥) المِرْطُ: هو الكساءُ من الصوفِ.

وهو علىٰ تلك الحالِ فقضىٰ إليه حاجتَهُ ثم انصرفَ. قال عثمانُ: ثم استأذنْتُ عليه فَجلَس، وقال لعائِشَةَ: اجمعي عليكِ ثيابَكِ، فقَضَيتُ إليه حاجتي ثم انصرفْتُ، فقالتْ عائشةُ: يا رسولَ اللهِ ما لي لم أرَكَ فَزِعْتَ لأبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما كما فَزِعتَ لعثمانَ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ عثمانَ رَجُلٌ حييٌّ، وإنِّي خشِيتُ إنْ أذِنتُ له علىٰ تلك الحالِ، أنْ لا يَبْلُغَ حاجَتَهُ**»[١].

ومن طريفِ ما يُذكَرُ من حياةِ شيخِنا الإمامِ الوادعيِّ رحمه الله أنَّهُ جاءَهُ مجموعةٌ من طلابِهِ، فأعطىٰ كُلَّ طالبٍ مساعدةً علىٰ الزَّواجِ، فقالوا له: يا شيخُ، إنَّ لنا أخًا في الخارج استحيا أن يَدْخُلَ، فأعطاهُ خمسين ألفًا، وزادهُ عَشَرَةَ آلافٍ، وقال: هذا حَقُّ حيائِهِ»[٢].

تخالُهُمُ للحِلْمِ صُمًّا عن الخَنَا ... وخُرْسًا عن الفحشاء عند التَّهاتُرِ
ومرضى إذا لاقوا حياءً وعفةً ... وعند الحروبِ كالليوثِ الخوادِرِ[٣]

١٥- المُخطِئُ:

وما نحنُ إلا كالخليطِ الَّذي مضى ... فرائِسُ دهرٍ مخطئٍ ومصيبِ[٤]

المخطئُ في القولِ أو الفعلِ سيَّما إذا كان جاهلًا أحوجُ ما يكونُ إلىٰ مراعاةِ مشاعِرِهِ لشعورِهِ بالنَّقصِ وبأنَّهُ مكسورُ الجناحِ فلا يُسْرَفْ معه في العتابِ والتوبيخِ والتقريعِ.

---

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٢٤٠٢).

(٢) «أُمَّةٌ في رَجُلٍ» للكاتبِ (٢٠).

(٣) «أماليُّ القالي» (١/ ٢٣٨).

(٤) «التعازي للعثماني» (١٧٦).

فعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: «إنَّ فتىً شابًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، ائذَنْ لي بالزِّنا!، فأقبلَ القومُ عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: **ادْنُهْ** فَدَنا منه قريبًا، قال: فجلسَ، قال: **أَتحِبُّهُ لأُمِّك**؟ قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فِداك، قال: **ولا الناسُ يحبُّونَهُ لأُمَّهاتِهم**، قال: **أفتحبُّهُ لابنتِكَ**؟ قال: لا واللهِ، يا رسولَ اللهِ جعلني اللهُ فداك، قال: **ولا الناسُ يحبُّونَه لبناتِهم**، قال: **أفتحبُّه لأختِكَ**؟ قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداك، قال: **ولا الناسُ يحبُّونَهُ لأخواتِهم**، **أفتحبُّه لعمتِكَ**؟ قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداك، قال: **ولا الناسُ يحبونه لعمتِهم**، قال: **أفتحبُّهُ لخالتِك**؟ قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداك، قال: **ولا الناسُ يحبونه لخالتِهم**، قال: فوضَعَ يَدَهُ عليه وقال: **اللهمَّ اغفِرْ ذنْبَهُ وطَهِّرْ قلبَهُ، وحَصِّنْ فَرْجَهُ**، فلم يَكُنْ بعد ذلك الفتىٰ يلتفتُ إلىٰ شيءٍ».

وفي روايةٍ أُخرىٰ: وقال: «**اللهمَّ طَهِّرْ قلبَهُ، واغفرْ ذَنْبَهُ، وحصِّن فَرْجَهُ فلم يكنْ شيءٌ أبْغَضَ إليه منه - الزِّنا -**»[1].

فتأمَّلْ كيف انتفضَ بعضُ الصحابةِ عند سماعِ الاستئذانِ في الزِّنا من الشابِّ فزجروه: «مَهْ... مَهْ»، ولكنَّ النبيَّ ﷺ عالَجَهُ بطريقةٍ أخرىٰ فرعىٰ مشاعِرَهُ ووجَّهَهُ بالتي هي أحسنُ للتي هي أقومُ.

والمخطئُ - أحيانًا - لا يشعُرُ أنَّهُ أخطأَ فيحتاجُ إلىٰ مَنْ يزيلُ الغِشاوَةَ عن عينيْهِ بألطفِ عبارةٍ وأحسَنِ إشارةٍ مع مراعاةِ مشاعِرِهِ ليعلمَ أنَّهُ علىٰ خطأٍ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ أعرابيًّا دَخَلَ المسجدَ ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ فصلَّىٰ ركعتين، ثم قال: اللهمَّ

---

(١) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (٢٢٢٦٥)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٣٧٠).

ارْحمني ومحمدًا، ولا ترحَمْ معنا أحَدًا، فقال النبيُّ ﷺ: لقد تحجَّرْتَ (ضيَّقْتَ) واسعًا، ثم لم يَلبثْ أنْ بالَ في ناحيةِ المسجِدِ، فأسرعَ الناسُ إليه، فنهاهم النبيُّ ﷺ وقال: «إنما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولم تُبْعثوا معَسِّرين، صُبُّوا عليه سِجِلًّا (دلوًا) من ماءٍ»[1].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه الرفقُ بالجاهِلِ، وتعليمُهُ ما يلزمُهُ من غير تعنيفٍ ولا إيذاءٍ، إذا لم يأتِ بالمخالفةِ استخفافًا أو عنادًا، وفيه دَفْعُ أعظمِ الضَّررَين باحتمالِ أخَفِّهما»[2].

١٦- المرأةُ البِكْرُ:

تتــوقُ إليــكِ الـــنفسُ ثـــم أرُدُّهـــا   حيــاءً ومثلــي بالحيــاءِ حقيــقُ[3]

البِنْتُ البِكْرُ تكونُ شديدةَ الحياءِ، وهذا طبع العذراءِ، ومما جاءَ في وَصْفِ النبيِّ ﷺ: «كان أشَدَّ حياءً من العذراءِ[4]، في خِدرِها[5]، وكان إذا كَرِهَ شيئًا عرفناهُ في وجْهِهِ[6]»[7].

والشاهِدُ أنَّ العذراءَ عُرِفَ عنها شِدَّةُ الحياءِ لهذا تراعَىٰ مشاعرُها فإذا طَلَبَ يَدَها رَجُلٌ، فعلينا أنْ نستأذِنَها، ونطرحَ عليها الفِكْرةَ، فإذا سكتَتْ فَثَمَّ إذنُها في سكوتِها مراعاةً لمشاعِرِها.

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٢١٧)، و«أحمدُ» (٧٧٨٦).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ علىٰ مُسْلِمٍ» (٣/ ١٩١).

(٣) «أماليُّ القالي» (٢/ ٢٥٨).

(٤) العذراءُ: البِكْرُ التي لم تفرغْ بعد عذارتُها.

(٥) الخِدْرُ: سِتْرٌ يُجعَلُ للجاريةِ في ناحيةِ البَيْتِ.

(٦) إذا كَرِهَ شيئًا عرفناهُ في وجهِهِ: أي لا يُبدي الكراهةَ بالكلامِ.

(٧) «رواه البخاريُّ» (٣٥٦٢)، و«مسلمٌ» (٢٣٢٠) واللفظُ له عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه.

فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تُنكَحُ الأيِّمُ حتىٰ تُستأمَرَ ولا تنكحُ البِكرُ حتىٰ تُستأذَنَ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وكيف إذنُها؟ قال: «إن تَسكُتَ»(١).

١٧- المُطلَّقةُ:

نَــدِمْتُ نَدامــةَ الكُــسَعِيِّ لمَّــا غَــدَتْ مِنِّــي مُطلَّقــةً نَــوارُ(٢)

المطلقةُ بحاجةٍ إلىٰ مراعاةِ مشاعِرِها وجَبْرِ خاطِرِها بإعطائِها مالًا وكسوةً، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠].

فمن أرادَ أنْ يتزوجَ امرأةً بَدَلًا من زوجتِهِ الأولىٰ، وقد أعطىٰ الأولىٰ قنطارًا، -فلا يأخُذْ منه شيئًا، فلا يَجمَعْ لها بين جُرحين: جُرحِ الاستبدالِ، وجُرحِ أخذِ المالِ، بل يحافظُ علىٰ مشاعرِها بتركه لها ما أعطاها.

فعن أبي أُسَيدٍ ﷺ قال: لما دَخَلَ النبيُّ ﷺ بابنةِ الجُونِ قالت: أعوذُ باللهِ مِنك. فقال: «قَدْ عُذْتِ بمَعاذٍ. فقال: يا أبا أُسَيدٍ اكْسُها رازِقيَّتَينِ(٣)، وألحِقْها بأهلِها»(٤) فطلَّقَها النبيُّ ﷺ حينما لجأَتْ إلىٰ اللهِ من نبيِّهِ ﷺ وجَبَرَ خاطِرَها بسببِ الطلاقِ فمتَّعَها برازقتين - وهو ثيابُ كِتَّانٍ - وهذا ليسَ خاصًا به ﷺ بل هو عامٌّ لِكُلِّ أحَدٍ لقولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

---

(١) «رواه البخاريُّ» (٦٩٦٨)، و«مسلمٌ» (١٤١٩).

(٢) «الكاملُ في اللغةِ والأدبِ» (١/ ١٠٣).

(٣) رازِقيَّتَين: تثنية رازِقيَّة، وهي ثيابٌ مِنْ كَتَّانٍ بِيضٌ طِوالٌ..

(٤) «رواه البخاريُّ» (٥٢٥٧).

١٨- الأُمُّ من أجلِ طِفلِها:

فَحُضنُ الأمِّ مدرسةٌ تَسامَتْ ... بتربيةِ البَنينِ أو البَناتِ[١]

يَحْسُنُ مراعاةُ مشاعِرِ الأُمِّ من أجلِ طِفلِها إذا كانت في صلاةٍ يُخَفِّفُ الإمامُ في صلاتِهِ أو كانت في عَمَلٍ خاصٍّ بالنساءِ كعيادةٍ أو مدرسةٍ فيخَفَّفُ عنها وتعطىٰ إجازة حتىٰ يبلُغَ الكتابُ أَجَلَهُ.

فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «ما صَلَّيْتُ وراءَ إمامٍ - قَطُّ - أخفَّ (صلاةً) ولا أَتَمَّ من رسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

وزادَ البخاريُّ: «وإن كانَ يَسْمَعُ بكاءَ الصبيِّ فَيُخَفِّفُ مخافَةَ أن تُفْتَنَ أُمُّهُ»[٣].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إني لأَدْخُلُ في الصلاةِ فأَسْمَعُ بكاءَ الصَّبِيِّ فأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ**»[٤].

فإذا كان النبيُّ ﷺ يراعي مشاعِرَ الأُمِّ في الصلاةِ مع عظمتِها ووقْتِها القصيرِ فغيرُها من بابٍ أولىٰ.

١٩- الضُّعَفَاءُ:

إنَّ من أضعَفِ الضعافِ لدى اللهِ ... قويًّا يستضعفُ الضُّعَفَاءَ[٥]

---

(١) «دواوينُ الشعرِ العربيِّ» (١٨/ ٥٥).

(٢) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠٦)، و«مسلمٌ» (٤٦٩).

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠٨).

(٤) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠٩) و«مسلمٌ» (٤٧٠).

(٥) «مِنْ رحيقِ الشعرِ» (٢١١).

مراعاةُ مشاعرِ الضعفاءِ والمرضىٰ وذوي الحاجاتِ والأعذارِ تجلبُ لك وُدَّهُمْ واحترامَهم وتزرَعُ لك المهابَةَ في قلوبِهم.

فعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: «كانَ معاذٌ يصلي مع النبيِّ ﷺ ثم يأتي فيؤمُّ قومَهُ، فصلَّىٰ ليلةً مع النبيِّ ﷺ العشاءَ ثم أتىٰ قومَهُ فأمَّهُمْ فافتتح بسورةِ البقرةِ فانحرفَ رجُلٌ مسلمٌ ثم صلَّىٰ وحْدَهُ وانصرفَ، فقالوا له: أنافقْتَ يا فلانُ؟

قال: لا واللهِ ولآتِيَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ فلأُخبِرَنَّهُ، فأتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّا أصحابُ نواضِحَ نعملُ بالنهارِ، وإنَّ معاذًا صلىٰ معك العِشَاءَ ثم أتىٰ فافتتحَ بسورةِ البقرةِ، فأقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: يا معاذُ أفتَّانٌ أنتَ؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا»[1].

وعن عثمانَ بنِ أبي العاصِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: أُمَّ قومَكَ، فَمَنْ أمَّ قومَهُ فلْيُخَفِّفْ فإنَّ فيهم الكبيرَ، وإنَّ فيهم المريضَ، وإنَّ منهم الضعيفَ، وإنَّ فيهم ذا الحاجةِ، وإذا صلىٰ أحدُكم وحْدَهُ فليُصلِّ كيفَ شاءَ»[2].

والأمْرُ لا يقتصرُ علىٰ الصلاةِ بل يَجِبُ مراعاةُ مشاعِرِهم في كُلِّ شيءٍ تكون فيه المراعاةُ فَمَنْ كانت له عليهم ولايةٌ من إمارةٍ فما دونها إلا رَفِقَ بهم مرعيًا سِنَّهم وضَعفَهم فلا يكَلِّفهمْ بما لا يُطيقون ولا يَشُقَّ عليهم بل يرفقُ بهم ويُحْسِنُ إليهم.

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٧٠١)، و«مسلمٌ» (٤٦٥).

(٢) «رواه مُسْلِمٌ» (٩٨٣).

٢٠- المَجْذُومونَ وأصحابُ العاهةِ:

لا تُعِـنِ الـدَّهْرَ علـى مُبْتَلَـى يرجـوك أنْ تَكْفِيَـهُ الـدهرا[١]

من مراعاةِ مشاعِرِ المجذومين وأصحاب العاهةِ عَدَمُ إدامةِ النظرِ إليهم.

ويعظُمُ الجُرْحُ متىٰ حَدَّقْتَ النظرَ إلىٰ مكانِ العاهةِ ولا بأْسَ بالنظرِ مرَّةً أو مرَّتين إنما المحظُورُ هو إدامةُ النَّظَرِ.

فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُدِيمُوا النظرَ إلىٰ المَجْذُومِينَ**»[٢]، وذلك لأنَّهُ إذا داومَ النَّظَرَ إليه حَقَرَهُ، وتأذَّىٰ بِهِ المنظورُ إليه.

وقُلْ مِثْلَ ذلك في كُلِّ مَنْ به عاهَةٌ حسيَّةٌ فلا يداومُ النَّظَرَ إليه.

وكذلك الدعاءُ الوارِدُ في رؤيةِ المُبْتَلىٰ: «**الحمدُ للهِ الذي عافاني ممَّا ابتلاكَ بِهِ، وفضلني علىٰ كثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تفضيلًا**»[٣].

ينبغي أن يَقولَهُ سرًّا مراعاةً لمشاعِرِهِ.

قال السنديُّ رحمه الله: «ينبغي أنْ يُخْفِيَ بِهِ صوتَهُ لئلَّا ينكسِرَ به خاطِرُ المبتلىٰ»[٤].

---

(١) «الأوائلُ» للعسكريِّ (٥٣).

(٢) (صحيحٌ) «رواهُ الترمذيُّ» (٣٥٣٣)، وابنُ ماجهْ (٣٥٤٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٢٦٩).

(٣) «حاشيةُ السِّنْدي علىٰ سُننِ ابنِ ماجهْ» (٢/ ٣٦٤).

(٤) «المرجعُ السابقُ» (٢/ ٤٤٧).

وإذا أتتكَ مصيبةٌ فاصبرْ فقدْ ... عَظُمَتْ مصيبةُ مبتلًى لا يَصْبِرُ[(١)]

٢١- الفقراءُ:

كم من فقيرٍ غنيِّ النَّفْسِ تعرفُهُ ... ومن غنيٍّ فقيرِ النفسِ مسكينِ[(٢)]

الفقراءُ يُعاملون بتقديرٍ وإجلالٍ فتُراعىٰ مَشاعِرُهم بتقديمِهم في المجالسِ ودعوتِهم للطعامِ والجلوسِ معهم وإيثارِهم بالإكرامِ والحديثِ والإقبالِ عليهم، ومواساتِهم وكرامُ الناسِ يقْضُونَ هذا الحَقَّ، فيراعون مشاعِرَ الفقراءِ أتمَّ مراعاةٍ.

فعن عائذِ ابنِ عمرٍو، أنَّ أبا سفيانَ أتىٰ علىٰ سلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ في نفرٍ، فقالوا: واللهِ ما أخَذَتْ سيوفُ اللهِ من عُنُقِ عدوِّ اللهِ مأخَذَها - يريدون قَتْلَهُ - قال: فقال أبو بكرٍ: أتقولونَ هذا لشيخِ قريشٍ وسيِّدِهِم؟ فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبَرَهُ، فقال: يا أبا بكرٍ! لعلكَ أغضبتَهم، لَئِنْ كُنْتَ أغضبتَهم لقد أغضبْتَ ربَّك». فأتاهم أبو بكرٍ فقال: يا إخوتاهُ! أغضبتُكُم؟ قالوا: لا، يغفرُ اللهُ لك يا أخي»[(٣)].

فهؤلاءِ النَّفَرُ كانوا من فقراءِ الصحابةِ، ومع ذلك قال الرسولُ ﷺ لأبي بكرٍ: لَئِنْ كنتَ أغضَبْتَهم لقد أغْضَبْتَ ربَّكَ» أي: إنَّ اللهَ ﷻ يغْضَبُ لِغَضَبِهم حتىٰ لو كان الذي أغضَبَهم خَيْرَ هذه الأمةِ بعد نبيِّها فما كان من أبي بكرٍ إلا أنْ سارَعَ لِيَسْتَرْضِيَهُمْ وَيَجْبُرَ خاطِرَهم وليعتذرَ إليهم.

(١) «زَهْرُ الأكَمِ» (٣/ ٨٤).

(٢) «دواوينُ الشعرِ العربيِّ» (٩٥/ ٢٧٤).

(٣) «رواهُ مسلمٌ» (٢٥٠٤).

فلا يَحْسُنُ الإقبالُ علىٰ أهلِ الدنيا والإعراضُ عن الفقراءِ فقد عاتبَ اللهُ ﷻ نبيَّهُ ﷺ علىٰ اهتمامِهِ بأهْلِ الدنيا وهم مُعْرِضون عن دعوتِهِ ﷺ أكثرَ من اهتمامِهِ برجلٍ أعْمَىٰ.

فقال ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: ١ - ١٠].

ومعنىٰ عبس قَطَّبَ وجْهَهُ. وتولَّىٰ: أعْرَضَ. أن جاءَه الأعمىٰ لأجْلِ أن جاءَهُ عبدُ اللهِ بن أمِّ مكتومٍ، فَقَطَعَهُ عمَّا هو مشتغلٌ به من محاولةِ هدايةِ أشرافِ قريشٍ إلىٰ الإسلامِ.

وقد أطبق المفسِّرون علىٰ أن الذي عبس هو الرسولُ ﷺ، والأعمىٰ هو: ابنُ أمِّ مكتومٍ، واسمُهُ عبدُ اللهِ بنُ شريح بنِ مالكٍ بن ربيعةَ الزهريُّ، وقد عاتبَ اللهُ نبيَّهُ علىٰ عبوسِهِ في وجْهِ الأعمىٰ، حتىٰ لا تنكسِرَ قلوبُ أهلِ الصُّفَّةِ أو ليعلمَ أنَّ المؤمنَ الفقيرَ خيرٌ من الغنيِّ، وأنَّ النظَرَ إلىٰ المؤمِنِ أولىٰ وأصْلَحُ، وإنْ كانَ فقيرًا من النظرِ إلىٰ غيرِهِ، وهو النظَرُ إلىٰ الأغنياءِ طمعًا في إيمانِهم، وإن كان فيه نوعٌ من المصلحةِ أيْضًا»[1].

فكَمْ غنيٍّ للناسِ عنه غِنًى ... وكَمْ فقيرٍ إليه يُفْتَقَرُ[2]

٢٢- السائلُ:

وما السائلُ المحرومُ يرجعُ خائبًا ... ولكنْ بخيلُ الأغنياءِ يَخيبُ[3]

---

(١) «تفسيرُ القُرْطُبِي» (١٩/ ٢١٣).

(٢) «الآدابُ النافعةُ» (٢٨).

(٣) «الأشباهُ والنظائرُ» (١٣٠).

قد يأتيك سائلٌ تقرأ في وجهِهِ أمارةَ الحاجةِ وربَّما تعرَّض لك لكنَّهُ لم يسألك حياءً فمن مراعاةِ مشاعِرِهِ أن تُبادِرَ إلىٰ قضاءِ حاجتِهِ وتساعِدَهُ فيها دونَ أن تُعَرِّضَهُ للمسألةِ التي تجرحُ مشاعِرَهُ.

فعن أبي سعيدِ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: بينما نحنُ في سَفَرٍ مع النبيِّ ﷺ إذا جاء رجلٌ علىٰ راحلةٍ له، قال: فجعل يصرفُ بصَرَهُ يمينًا وشمالًا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَن كان مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فليَعُدْ بِهِ علىٰ من لا ظَهْرَ له، ومن كان له فَضْلُ زادٍ فلْيَعُدْ به علىٰ مَنْ لا زادَ له**» قال: فذكر من أصنافِ المالِ ما ذكَرَ، حتَّىٰ رأينا أنه لا حَقَّ لأحَدٍ منَّا في فَضْلٍ»[1].

والناسُ جُلُّهم يعرفون أمارةَ الجوعِ في وجوهِ غيرِهم ويعرفون أمارةَ الحاجةِ، وكرامُ الناسِ يبادِرون إلىٰ قضاءِ حاجَتِهم ولا يُعَرِّضونهم لِلمسألةِ، ولئامُ الناسِ بالضِّدِّ من ذلك. وحتىٰ لو كان السائلُ مِمَّنْ لا يستحقُّ المالَ فعليك أن تَرُدَّهُ ردًّا جميلًا بكلمةٍ طيبةٍ.

فعن عبدِ اللهِ بن عَدِيِّ بن الخيارِ قال: «أخبرني رجلانِ أنهما أتيا النبيَّ ﷺ في حِجَّةِ الوداعِ، وهو يُقَسِّمُ الصَّدَقَةَ، فسألاهُ منها فرفَعَ فينا البَصَرَ وخَفَضَهُ، فرآنا جَلْدَين، فقال: إن شِئتُما أعطيتُكما، ولا حَظَّ فيها لغنيٍّ، ولا لِقويٍّ مُكْتَسِبٍ»[2].

ومن الخطإِ الذي يقعُ فيه بعضٌ من الناسِ تعنيفُ السائِلِ وتغليظُ القولِ له عندما يُظَنُّ كَذِبُهُ أو يُرَىٰ غِناهُ أو قُوَّتُهُ وهذا لا يَحْسُنُ ولكنْ يعطىٰ أو يُمْنَعُ من غيرِ إهانةٍ ولنا في رسولِ اللهِ أسوةٌ.

---

(١) «رواهُ مسلمٌ» (١٧٢٨).

(٢) (صحيحٌ) أخرجهُ أحمدُ (٤/ ٢٢٤)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامعِ» (١٤١٩).

قال أبو تمام يذكرُ اللؤم في بعض الناسِ:

ومنازلٍ لم يبت فيها ساحةٌ إلا وفيها سائل محرومُ

عرصاتُ لؤمٍ لم يَكُنَّ لسَيِّدٍ وطنًا، ولم يُرْفَعْ بِهِنَّ كريمُ(١)

٢٣- مَنْ حَضَرَ القِسْمَةَ:

إنَّ العروقَ الطَّيِّباتِ كفيلةٌ لكَ حينَ تُثمِرُ أن تَطيبَ ثِمارا(٢)

من حَضَرَ قسمةَ التركةِ يَحْسُنُ مراعاةُ مشاعِره بإعطائِه من القِسْمَةِ سواءٌ أكان قريبًا أم بعيدًا، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]، وماذا بعدها: ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⑧﴾.

فهؤلاء ليسوا من الورثةِ ولا من أصحابِ التعصيبِ من خارجِ أصحابِ الفرائضِ وتُقسَمُ للناسِ وهو ينظرون وهم محتاجونَ فأمَرَ الله ﷻ بالمحافظةِ على مشاعرهم فتعطيهم ولو شيئًا يسيرًا جبرًا لخاطِرِهم وقوةً لأخوّتِهم.

وزادَ على ذلك العطاءِ: ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⑧﴾ [النساء: ٨].

قال أحَدُ الشعراءِ يهجو من حَرَمَهُ العطاءَ:

«وتَراهُ يُكْرِمُ مَن نأى عنه ويُغْفِلُ مَن حَضَرْ

كالشمسِ تنحسُ مَنْ دنا منها وتُسعِدُ بالنَّظَرْ»(٣)

---

(١) «أحْسَنُ ما سَمِعْتُ» (٩٤).

(٢) «ديوانُ ابنِ الخياطِ» (٨٦).

(٣) «ديوانُ كُشَاجِمٍ» (١٨٣).

٢٤- الثُّقَلاءُ:

إذا مـا ثقيـلٌ زارَنـا في رحالِنـا فـأفٍّ لَـهُ مـن زائـرٍ وثَقِيـلِ[١]

الثُّقَلاءُ يُراعَىٰ لهم مشاعِرُهم ويُخاطَبُون بالتي هي أحسَنُ وكذلك تُدْفَعُ سيئاتُهم لئلا تبدُرَ منهم بادرةُ سوءٍ ولِاتقاءِ شَرِّهم، وكرامُ الناسِ يقْضون هذا الحقَّ لهم.

فعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رجلًا استَأْذَنَ علىٰ النبيِّ ﷺ فلما رآه قال: «**بِئْسَ أخو العشيرَةِ وبئسَ ابنُ العشيرةِ**، فلمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النبيُّ ﷺ في وَجْهِهِ، وانْبَسَطَ إليه فلما انطلَقَ الرجُلُ قالت له عائشةُ: يا رسولَ اللهِ، حين رأيتَ الرجلَ قلتَ كذا وكذا ثم تطَلَّقْتَ في وجهِهِ وانبسطْتَ إليه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **يا عائشةُ، متىٰ عَهِدْتِني فاحشًا؟ إن شَرَّ الناسِ عندَ اللهِ منزلةً يومَ القيامةِ مَنْ تركَهُ الناسُ اتقاءَ شَرِّهِ**[٢]»[٣].

قال ابن بطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «المداراةُ من أخلاقِ المؤمنين وهي: خَفْضُ الجَناحِ للناسِ، ولينَ الكلمةِ، وتركُ الإغلاظِ لهم في القولِ، وذلك من أقوىٰ أسبابِ الألفةِ، وظَنَّ بعضِهم أنَّ المداراةَ هي المداهنةُ فَغَلَطٌ؛ لأنَّ المداراةَ مندوبٌ إليها والمداهنةَ محرَّمةٌ.

والفَرْقُ أنَّ المداهنةَ من الدِّهانِ، وهو الذي يَظْهَرُ علىٰ الشيءِ، ويستُرُ باطِنَهُ، وفسَّرها العلماءُ بأنها: معاشرةُ الفاسِقِ، وإظهارُ الرِّضا بما هو فيه من غيرِ إنكارٍ عليه.

---

(١) «أخبارُ الثُّقلاءِ» للخلالِ (١٩).

(٢) اتقاءَ شَرِّهِ: لأجلِ قبيحِ قولِهِ وفعلِهِ، ولئلا يؤذيهم بلسانِهِ.

(٣) «رواهُ البخاريُّ» (٦٠٣٢)، و«مسلمٌ» (٢٥٩١).

والمداراةُ: هي الرفقُ بالجاهلِ في التعليمِ، وبالفاسِقِ في النَّهْي عن فعلِهِ وتركُ الإغلاظِ عليه حيثُ لا يُظهِرُ ما هو فيه، والإنكارُ عليه بلُطفِ القولِ والفِعْلِ، ولا سيَّما إذا احتيجَ إلىٰ تألُّفِهِ، ونحوِ ذلك»[1].

ومن جميلِ ما قيلَ في المداراةِ قولُ النَّظَّامِ:

ما يَسُرُّني تركُ المداراةِ ولي حُمْرُ النَّعَمِ، فقيل له: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الأمْرَ إذا غَشِيكَ فشَخَصْتَ له أرْدَاكَ، وإذا طأطأتَ له تخطَّاكَ[2].

وقال الشاعر:

وأنزلني طُولُ النَّوى دارَ غُربَةٍ ... إذا شِئتُ لاقيتُ امرءًا لا أُشاكِلُهْ

فحامقْتُهُ حتى يُقالَ سَجِيَّةٌ ... ولو كان ذا عَقْلٍ لكُنْتُ أُعاقِلُهْ[3]

وقال أستاذنا عبد الكريم بن محمد العماد - حفظه الله -:

هو أصْلُ العبوسِ في كُلِّ وَجْهٍ ... يجعلُ العيدَ والوليمةَ مأتَمْ

أترجَّى ابتسامتي رغمَ أنفي ... حين ألقاهُ، خوفَ أنْ يتألَّمْ

٢٥- أصحاب المهن:

أنتَ لي خادمٌ ولكنْ كأنَّا ... في الملماتِ أهْلُ قربى وصِهْرِ[4]

---

(١) «التنويرُ في شَرْحِ الجامعِ الصغيرِ» (٤/ ٥٥٣).

(٢) «الذخائرُ والعبقرياتُ» (١/ ١٥٩).

(٣) «المرجعُ السابقُ» (١/ ١٥٩).

(٤) «الأدبُ المُقارَنُ» جامعةُ المدينةِ العالميةِ (١٨٧).

من الأدبِ مراعاةُ مشاعرِ أصحابِ المِهَنِ، لقولِهِ ﷺ: «إذا أتَى أحَدَكُم خادِمُهُ بطعامٍ، فإنْ لم يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فليناوِلْهُ لقمةً أو لقمتين، أو أُكْلَةً أو أكلتينِ، فإنه ولي عِلاجَهُ»[1].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديثِ الحثُّ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ والمواساةِ في الطعامِ، لا سيَّما في حَقِّ مَنْ صَنَعَهُ أو حَمَلَهُ، لأنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ ودُخَانَهُ، وتَعَلَّقَتْ به نَفْسُهُ وشَمَّ رائحتَهُ»[2].

ومن طريفِ ما يُذْكَرُ عن العلامةِ ابنِ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ما ذكره الشيخُ الدكتورُ محمدُ لقمان السلفيُّ) أنَّهُ دعا العالِمَ الهنديَّ الشَّيْخَ فَضْلَ اللهِ الجيلانيَّ - شارحَ الأدبِ المفردِ للإمامِ البخاريِّ - إلىٰ مأدُبَةِ الغداءِ، فلمَّا جَلَسَ الشيخُ ابنُ بازٍ وضيوفُهُ حولَ المائدةِ، سألَ عمَّا إذا كان حَضَرَ الخادمُ الذي كان يَغْسِلُ الأوانيَ في منزلِهِ ليأكُلَ مَعَهُ، فقيل إنه لم يَحْضُرْ بَعْدُ فبدأ يناديه، ولم يَشْرَعْ في الأكلِ حتىٰ يأكُلَ في حضورِهِ واشتراكِهِ مَعَهُ ومع ضيوفِهِ في المأدبةِ.

وقد سألني الشيخُ فضلُ اللهِ الجيلانيُّ عَمَّنْ يكونُ ذلك الوَلَدُ، هل هو ابنُ الشَّيْخِ؟ فأخبرتُهُ بأنَّهُ خادِمُ الأواني في منزلِ الشيخِ، فكادَ ألَّا يُصَدِّقني وبدأ يَبْكِي ويقولُ: إنَّ هذا التواضعَ العظيمَ والرحمة بالضَّعيفِ لم أرَ لَهُ مَثَلًا في حياتي»[3].

في قاسمٍ خادمٌ كافٍ كفاكَ بهِ … كأنَّهُ لَكَ من بينِ الورى جُبِلا

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٢٤١٨)، و«مسلمٌ» (١٦٦٣).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوي علىٰ مُسْلِمٍ» (٨/ ١٠٨).

(٣) «سِيرَةُ وحياةُ الشيخِ العلامةِ عبد العزيز بن بازٍ» لإبراهيمَ الحازميِّ (١/ ٢٧٨).

مبـــاركٌ لا تمــجُّ العــينُ طلعتَـــهُ ولا يرى الرأيُ في مخبورِهِ فشلا[1]

٢٦-الأجيرُ:

فما استأجروا لي صاحبًا من سواهُمُ فَــرُبَّ أجيــرٍ في المــضايقِ نــافعُ[2]

الأجيرُ: هو من يعملُ لك بأجرٍ يوميٍّ أو شهريٍّ فيجبُ مراعاةُ مشاعِرِه، ومن مراعاةِ مشاعِرِهِ أن لا تُكلِّفَهُ بعملٍ غير ما اتَّفقْتُما عليه كأن اتَّفقتما علىٰ أن يقومَ بإصلاحِ البابِ ثم تطلبُ منه شَفْطَ الحمامِ أو مَسْحَ البلاطِ أو اتَّفقْتُما علىٰ العملِ في المتجرِ ثم تطلبُ منه نَقْلَ الحجارةِ وهكذا؛ لأنَّ الأجيرَ غيرُ العَبْدِ؛ فالعَبْدُ يقومُ علىٰ خدمةِ سَيِّدِهِ في كُلِّ ما يَطْلُبُ منه ولا يَشُقُّ ذلك عليه بخلافِ الأجيرِ فهو حُرٌّ وأيُّ عَمَلٍ يُطْلَبُ منه كما يُطْلَبُ من العبيدِ يُعْتَبَرُ ذلك إهانةً وجَرْحًا لمشاعِرِهِ لكنْ متىٰ طابَتْ نفسُهُ لأيِّ عَمَلٍ فلا حَرَجَ علىٰ أنْ يُعامَلَ معاملةَ الابنِ فيُحبُّ له الخيرَ ويُوَجِّهُ ويُنْصَحُ في كُلِّ ما يَخُصُّ معاشَهُ ومعادَهُ ويُرْفَقُ به وتُراعىٰ مشاعِرُهُ ولا يُكَلِّفُهُ بما قد يَشُقُّ عليه، ولا يماطِلُهُ في أجْرِهِ بل يُعْطِيهِ عند حلولِ الأجَلِ بلا مماطلةٍ أو تسويفٍ.

فعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَعطوا الأجيرَ أجرَهُ قبلَ أنْ يجفَّ عَرَقُهُ**»[3].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**قال اللهُ - تعالىٰ -: ثلاثةٌ أنا خَصْمُهم يومَ القيامةِ، ومَنْ كُنْتُ خِصْمَهُ خَصَمْتُهُ، رَجُلٌ أعطىٰ بي ثم غَدَرَ، ورجلٌ باعَ حُرًّا**

---

(١) «ديوانُ ابنِ الروميِّ» (٣٤٣٠).

(٢) «الوسيطُ» (٢٩٥).

(٣) (صحيحٌ) «أخرجهُ ابنُ ماجهْ» (٢٤٤٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «إرواءُ الغليلِ» (٥/ ٣٢٠ - ٣٢٤).

فأكَلَ ثَمَنَهُ، ورجلٌ استأجَرَ أجيرًا فاستوفىٰ منه ثم لم يُعْطِهِ أجْرَهُ»[١].

٢٧- البائِعُ:

إنــا لعمــر أبيــك يحمــد ضــيفنا ونــسود ســيدنا علــى الإقــلالِ[٢]

كلمةُ بائعٍ تُطلَقُ علىٰ البائِعِ والمشتري والمتبادِرُ للذِّهْنِ عند الإطلاقِ باذِلُ السِّلعةِ ومقصودُنا هو المشتري فهو ضيفٌ علىٰ البائِعِ حتىٰ يَرْحَلَ عنه.

والضيفُ وما أدراكَ ما الضيفُ، الضيفُ كما تقولُ العَرَبُ: «إذا أقبلَ أميرٌ[٣] وإذا جَلَسَ أسيرٌ[٤] وإذا قام شاعِرٌ[٥]».

فَحَرِيٌّ بالبائِعِ أنْ يتحلَّىٰ بالصَّبْرِ والتَّجَمُّلِ فلا يُسْمِعَ ضَيفَهُ كلمةً تُعابُ مهما رأىٰ منه من مماكسةٍ وتقليبِ السلعةِ وحَمْلِها وإرجاعِها وذَمِّها ما دامَ قصدُهُ صحيحًا وهو الصِّدْقُ في الشِّراءِ.

٢٨- الحيوانُ:

ومــا حيــوانُ البَــرِّ فيهــا بــسالمٍ إذا لــم يُغِثْــهُ ســيفُها وســفينُها[٦]

---

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٢٢٢٧).

(٢) «الجامعُ الكبيرُ في صناعةِ المنظومِ مِنَ الكلامِ» لابنِ الأثيرِ (٢٥٧).

(٣) أميرٌ. أيْ: أنه يُستَقْبَلُ بالحفاوةِ التي يُستَقْبَلُ بها الأمراءُ.

(٤) أسيرٌ: أيْ أنه أسيرٌ عندَ مُضِيفِهِ حتىٰ يُقَدِّمَ لَهُ ما يَجِبُ له في حَقِّهِ.

(٥) شاعِرٌ: أيْ أنه سيقولُ كلامًا جميلًا يَصِفُ ما قدموا له من كَرَمٍ وتقديرٍ.

(٦) «الحماسةُ المغربيةُ» (٢/ ١١٩٧).

الحيوانُ عليك أنْ تُراعيَ مشاعِرَهُ حتىٰ عند الذَّبْحِ فلا تُحِدَّ السكينَ أمامَهُ ولا تذبَحِ الشاةَ أمامَ أختِها وأنْ تُحْسِنَ الذَّبْحَ.

فعن شدادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ثنتان حَفِظْتُهما عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ علىٰ كلِّ شيءٍ فإذا قَتَلْتُمْ فأحسِنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحْتُمْ فأَحسِنوا الذَّبْحَ، ولْيُحِدَّ أحدُكُم شَفْرَتَهُ، ولْيُرِحْ ذبيحتَهُ**»[١].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلْيُرِحْ ذبيحتَهُ»: بإحدادِ السُّكينِ، وتعجيلِ إمرارِها وغيرِ ذلك، ويُسْتحبُّ ألا يُحِدَّ السكينَ بحضرةِ الذبيحةِ، وألَّا يذبحَ واحدةً بحضرةِ أُخرىٰ، ولا يَجُرَّها إلىٰ مذْبَحِها.

وقولُهُ: «**فأحْسِنوا القِتْلَةَ**» عامٌّ في كُلِّ قتيلٍ من الذبائحن والقَتْلِ قصاصًا، وفي حَدٍّ، ونحوِ ذلك. وهذا الحديثُ من الأَحاديثِ الجامعةِ لقواعِدِ الإسلامِ»[٢].

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلًا أَضْجَعَ شاةً يريدُ أنْ يَذْبَحَها وهو يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**أتريدُ أنْ تُميتَها موتاتٍ، هَلَّا حَدَدْتَ شفرتَكَ قبلَ أنْ تُضْجِعَها**»[٣].

وحَثَّ ﷺ علىٰ الرحمةِ بالحيواناتِ.

فعن أبي أمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ رَحِمَ ولو ذبيحةَ عصفورٍ رحمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ**»[٤].

---

(١) «رواهُ مسلمٌ» (١٩٥٥).

(٢) «شَرْحُ النَّوويِّ علىٰ مسلمٍ» (١١/ ١٠٧).

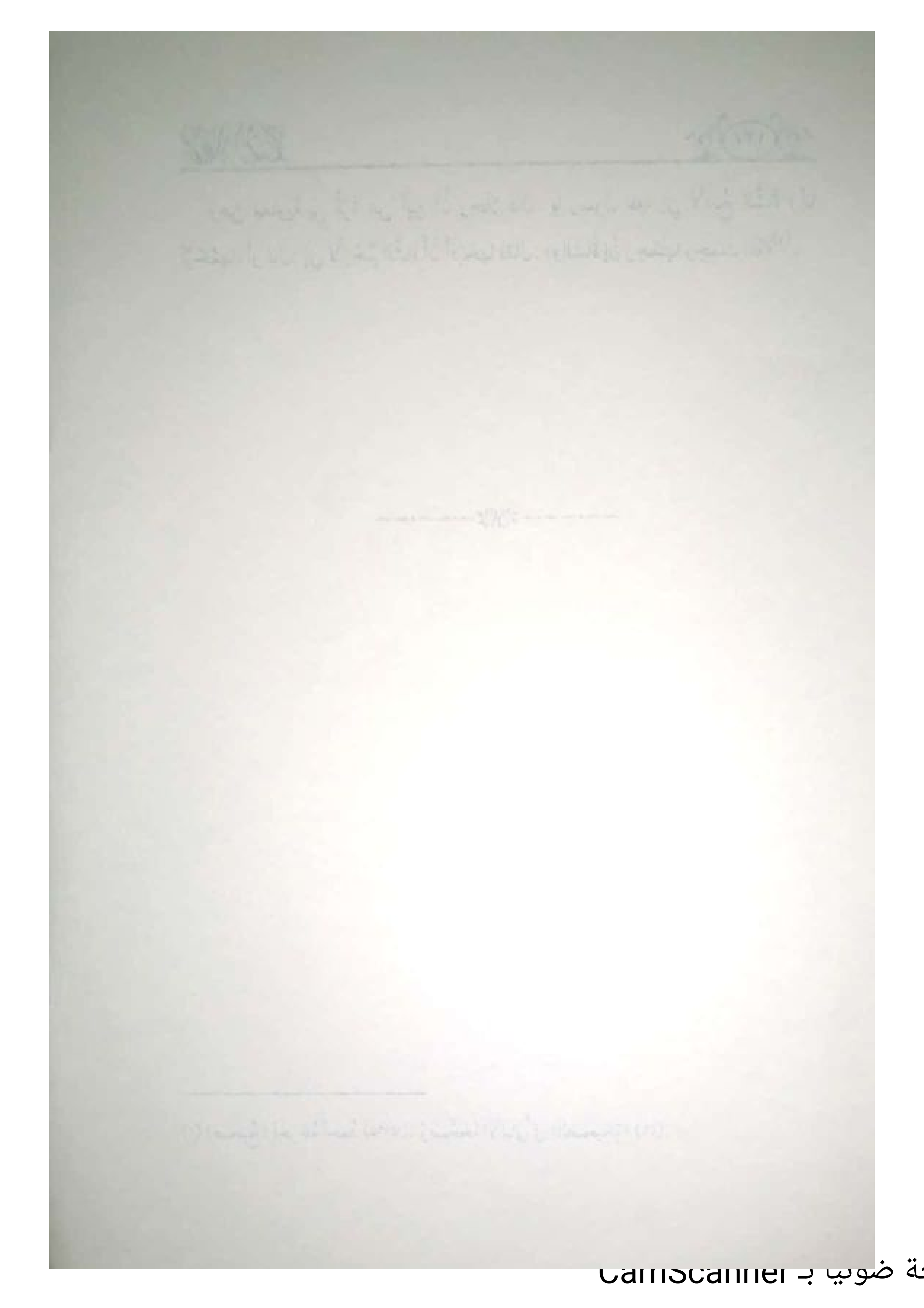
(٣) (صحيحٌ) أخرجهُ الحاكمُ في «مُسْتَدْرَكِهِ» (٧٥٦٣)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٢٤).

(٤) (حَسَنٌ) أخرجهُ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» (٥/ ٧٩)، وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٦٢٦١).

وعن معاوية بنِ قُرَّةَ عن أبيه أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ، إني لأَذْبَحُ الشَّاةَ وأنا أرْحَمُها، أو قال: إني لأَرْحَمُ الشَّاةَ أنْ أذْبَحَها فقال: «والشاةُ إنْ رَحِمْتَها رحِمَكَ اللهُ»(١).

---

(١) (صحيحٌ) أخرجَهُ أحمدُ (١٥١٦٥)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٦).



الخاتمة

حسن ابتدائي به أرجو التَّخَلُّصَ مِنْ   نارِ الجَحِيمِ، وهَذا حسن مُخْتَتَمي (١)

ما ذكرتُه إنَّما هو غَيضٌ مِن فَيضٍ، وإلَّا فمراعاةُ المشاعرِ بَحْرٌ لا يُعْرَفُ لَهُ ساحلٌ، وحَسْبي أنِّي عرجتُ على أهمِّ ما يتعلَّقُ بحياةِ النَّاسِ.

فإن كنتُ أصبتُ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ - ولَهُ الحَمْدُ - وأسألُهُ بأسمائِهِ الحُسْنىٰ وصفاته العُلَىٰ أن يتقبَّلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ويُنْبِتَهُ نباتًا حَسَنًا.

وإن كان مِنْ خطإٍ فَمِنْ نَفْسي والشَّيطانِ، وأستغفرُ اللهَ وأتوبُ، إليه.

إن كنتُ أخطأتُ في بحثي فمعذرة   من العفو الذي يعفو عن الزللِ

وإن أصبتُ فأشكره وأسأله   فعلًا جميلًا له في منتهى الأجل (٢)

---

(١) «خزانةُ الأدبِ» (٢/ ٤٩٣).

(٢) قاله بلالُ الخطبانيُّ حفظه اللهُ.

وقد أرسلت له الكتابَ لينظر فيه قبل الطبع، فأرسل لي هذه الأبيات:

كتابُ مُراعاةُ المشاعرِ بَلْسَمٌ   لِكُلِّ فُؤادٍ يشتكيكَ التَّجافِيا

لَقَدْ طَارَ نَوْمِي وَاعْتَزَلْتُ حَلِيلَتِي   وَعِشْتُ مُراعاةَ المَشَاعِرِ سَالِيَا

فَلِلَّهِ درُّ الشيخِ مِن نَسْلِ حاشِدٍ   كِتَابُكُمُ درٌّ فزدني ثمالِيا

فواللهِ ربِّي لَمْ أرَ قَطُّ مِثْلَهُ   رويتُ بِهِ قَلْبي وَقَدْ كانَ صَادِيَا

فَكَمْ خَبَرًا قَرأْتُ فِيهِ وآيةً   وأوْضَحَ فيه الشيخُ ما كان خَافِيَا

بتفسيرِ أهلِ العلمِ زاد حلاوة   من الذكرِ والآثارِ ما كان عاليا

فإن كُنْتَ – أخي القارئ – مِمَّنْ خَصَّهُمُ اللهُ بحفظِ الجَميلِ، فأقَلُّ الجَميلِ في حقِّ كاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ: «حَفِظَهُ اللهُ بِطَاعَتِهِ!»، أو «رَحِمَهُ اللهُ، وغَفَرَ لَهُ ولوالدَيْهِ!».

وآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ.

الفهرس



صدر حديثًا
لأبي عَبْد الله فيصل عَبْده قائد الحاشِدِيّ
مواعظ النساء.
الابتلاء السنة الباقية.
عقيدة المسلم.
حسن الجوار خلق الأبرار.
صناعة الرجال.
مراعاة المشاعر.
أسرار التوفيق.
جرح المشاعر.
جنة الرضا.
السكينة الخلق المفقود.
صناعة الحفظ.
جفاف المشاعر.
دليلك إلى الفراسة (الطبعة الثانية منقحة ومزيدة).
المواعظ الذهبية (زاد للخطباء والوعاظ).
الفريد في خطب التوحيد.
البصيرة في خطب السيرة.
ذوقيات، حتى نرتق بأخلاقنا.
دفء المشاعر في الحياة الزوجية.
صناعة الكتابة (قواعد وأصول) { يصدر قريبًا }.
أعذب الكلام في صلة الأرحام { يصدر قريبًا }.
سلامة الصدر راحة البال ونعيم الآخرة { يصدر قريبًا }.
الجامع في خطب الكبائر { يصدر قريبًا }.
العسل المصفى في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام { تحت الطبع }.
داركم المتميزة
دار القمة للطباعة والنشر والتوزيع
١٧-١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢
دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع
دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة - مقابل بنك سبأ - شارع رداع
محافظة ذمار - اليمن جول: ٧٧٥٢٠٩٩٢٥
ISBN 978-977-372-114-5
9 789773 721145
alemanbookstore@gmail.com
dar_aleman@hotmail.com